نبوخذ نصر
נבוכדנצר השני
ومملكة بابل

أحمد ربيع عبد المنعم

دار مشارق

نبوخذنصر
ومملكة بابل
ونبوءة الملك المسيا

تأليف
أحمد ربيع عبد المنعم

الناشر
دار مشـــارق

نبـــــوخذ نصـــــر

ومملكة بابل

ونبوءة الملك المسيا

أحمد ربيع عبد المنعم

رقم الإيداع : ٢٠٠٨/١٠٥٥١

دار طيبة للطباعة – جيزة

الطبعة الأولى ٢٠٠٨

دار مشارق للنشر والتوزيع

١٥ شارع الفاروق عمر بن الخطاب – طالبية – فيصل

ت : ٣٧٢٤١٨٠٣ – ٠١٢٦٨٧٢٩٠٦ – ٠١٠٥٩٣٣١٧٠

E-Mail : Mshareq@hotmail.com

المقدمة

الحمد لله الذى له ملك السماوات والأرض. والصلاة والسلام على أشرف الخلق ـ محمد بن عبد الله النبى الأمى ـ وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد..

تدور صفحات هذا الكتاب عن أحد الملوك الذين امتد ملكهم إلى أنحاء شتى. وقام ملكه على حطام الشعوب المختلفة. وكان يستفيد كثيرا باستخدام الشعوب التى يحتلها، كان يستنفذ كل الإمكانات البشرية والمادية للشعوب التى يستولى عليها لحد التحكم بحياتهم، إنه نبوخذنصر ملك بابل، حيث حضارة عظيمة، من الحضارات الكبرى التى شهدها التاريخ القديم.

والتى تركت رموزًا تحير الكثير من العلماء فى ترجمتها وفهمها إلى الآن. وهذا الرجل ـ نبوخذنصر ـ لم ولن يُنسى من ذاكرة التاريخ.. ولكن لماذا؟

لأن أعماله تركت بصمة لدى الشعوب المختلفة والتى دونت فى سجلاتهم وتاريخهم. فهو الذى جاء إلى أورشليم وساق أهلها أسرى أذلة إلى بابل، وحاصر أورشليم ثلاث مرات حتى دمرها، وأحرق الهيكل المقدس لدى اليهود.

١ ـ فى سنة ٦٠٥ق.م احتل المدينة وسمح للملك يهوياقيم أن يحكم باسمه وكتابع وخاضع له. (دا: ١ ـ ٣).

٢ ـ سنة ٥٩٧ق.م جاء نبوخذنصر ثانية وأخذ بقية أوانى الهيكل وكنوزه ونقلهم إلى بابل وأخذ الملك يهوياقيم ١٠,٠٠٠أمير (٢مل ٢٤: ١٤).

٣ ـ سنة ٥٨٦ق.م جاء للمرة الثالثة ليعاقب صدقيا الملك على تمرده عليه فحاصر المدينة ثم كسر الأسوار وأحرق بيت الرب وكل بيوت أورشليم (٢مل ٢٥ : ٩).

وأحرق كتبهم المقدسة وتسبب فى فقدانها، وعاش اليهود ـ كما تروى مصادرهم الكتابية ـ لمدة ٧٠ سنة أذلاء ضعفاء عبيدا فى بابل.

وذلك إلى أن جاء الملك الفارسي "كورش" والذى أمر بالسماح لهم ـ بنى إسرائيل ـ بالعودة إلى أوطانهم وبناء هيكلهم المقدس، وكتابة التوراة على يد الكاهن "عزرا".

وغير ذلك الكثير من الأحداث سجلتها التوراة عن هذا الملك، وما حدث لهم منه وأحداث خاصة به من حيث امتداد مملكته وحكمه والجانب الاعتقادي لديه من حيث الوثنية والإيمان بإله شعب إسرائيل.

وسنرى لاحقا أن ما ذكرته التوراة عن هذا الرجل به أخطاء تاريخية.

كما كانت هناك علاقة بين نبوخذنصر وبين أنبياء بنى إسرائيل الذين عاصروا فترة السبى، فقد رأى حلما وفسره له دانيال النبى ، وتمثل ذلك الحلم كما سنرى فى أربع ممالك عظيمة، مملكة بابل أولاهما ثم بعد ذلك تأتى مملكة من قبل الله ـ إله إسرائيل ـ تكسر وتكتسح تلك الممالك التى قامت على أساس الاحتلال والاضطهاد للشعوب.

ويرى اليهود أن هذه المملكة هى مملكة النبى الخاتم ـ الملك المسيّا ـ المسيح المنتظر ويرى المسيحيون ما يراه اليهود ويوافقونهم ولكن يقول المسيحيون بأن ذلك الملك هو المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، ويختلف اليهود معهم فى ذلك حيث يرون أن ذلك المسيّا ـ الملك ـ النبى لم يأت بعد وذلك لأن صفات عيسى عليه السلام غير متطابقة مع صفات ذلك المرتقب ظهوره فى الكتب المقدسة. وقول اليهود فيه حق وباطل.

فالحق هو أن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام لم يكن هو ذلك المنتظر، والباطل هو أنه لم يأت بعد - إلى الآن - فقد جاء وعرفوه وتطابقت صفاته مع الصفات التى تذكرها كتب الأنبياء له، ولكنهم كرهوا أن يكون هو هذا المنتظر.

فمن يكون هذا؟ ولماذا كرهوا أن يكون هو؟ ولماذا قال النصارى بأنه عيسى ابن مريم عليه السلام؟ وفى أى وقت جاء؟ وماذا عن ملكوته الذى اكتسح ممالك الأرض كلها؟ وفيما يتمثل؟

كل هذا ما سنناقشه ونوضحه فى هذا الكتاب بإذن الله. والله المعين...

أحمد ربيع عبد المنعم

الفصل الأول

بلاد ما بين النهرين

قلنا إن حضارة بابل هى من أقدم وأعظم الحضارات التى عهدتها البشرية، وكانت المعلومات التاريخية قليلة جدا عن تاريخ بلاد الرافدين، فكانت تقتصر المعارف التاريخية لهذه المنطقة على ما ورد فقط فى كتب التاريخ القديم وما ذكر فى الكتاب المقدس ـ العهد القديم ـ لكن ومنذ عام ١٧٨٦ بدأت البعثات العالمية بالتنقيب فى آثار بلاد الرافدين، وعلى ضوء البحث الميداني والحفريات، بدأت المعرفة بتاريخ المنطقة تتسع وتتعمق وتستند على أدلة مادية أى على المخلفات الأثرية.

١ـ "أصل وجغرافية بلاد الرافدين":

أرض بابل: هى البلاد المحاطة بين نهرى دجلة والفرات وتمتد من هذين النهرين غربا حتى البادية، ومساحتها نحو ٤٠٠ ميل طولا و١٠٠ عرضًا، وأراضيها بطاح سهلة[١].

وبلاد ما بين النهرين (بيت نهرين Beth – Nahrain بالآرامية) ميزوبوتاميا μεσοποταμια- هى تلك البلاد التى تقع ما بين نهرى دجلة والفرات. وهى بلاد أكاد وسومر قديمًا، وعرفت أيضا باسم بابل، باب إيل ـ باب الله ـ وهى التى تعرف اليوم باسم العراق. وتنقسم بلاد ما بين النهرين إلى قسمين يتميز أحدهما عن الآخر:

---

[١] أ. قاموس الكتاب المقدس ـ جورج بوست.

١ ـ القسم الشمالي: ويتكون من وديان عديدة ومرتفعات جبلية، وقد استوطنه الآشوريين.

٢ ـ القسم الجنوبي: عبارة عن مستنقعات غير صالحة للعيش، وقد تراكم فيها مع مرور السنين ما يأتي به النهران من تربة فصلحت الأرض، وتم استيطان سهل الجنوب (سهل سومر).

وقد شهدت بلاد ما بين الرافدين العديد من الحضارات الإنسانية التي ترجع أقدمها إلى عام ٣٧٠٠ق.م وهي الحضارة السومرية العربية.

ويرجع أصل سكان العراق للقبائل العربية التي نزحت من الجزيرة العربية إلى وادي الرافدين من الألف السادسة قبل الميلاد[٢].

ومما هو جدير بالذكر أيضًا. أن هناك آراء مختلفة عن أصل كلمة العراق.. حيث يرجح بعض المستشرقين أن مصدرها هي مدينة أورك السومرية القديمة والتي تسمى الآن بالوركاء، وقد ذكرت مدينة أورك في ملحمة كلكامش حيث قام كلكامش ببناء سور حول المدينة ومعبدًا للآلهة عشتار، بينما يرى البعض الآخر أن العراق مصدرها العروق نسبة إلى النهرين دجلة والفرات اللذين ـ ولأهميتهما ـ شبهتا بالعرق أو الوريد، ويرى البعض الآخر أنها سميت بالعراق نسبة إلى عروق أشجار النخيل التي تتواجد بكثرة في جنوب ووسط العراق، بينما يرى الآخرون أن أصل التسمية هي عراقة المنطقة الموغلة بالقدم[٣].

٣ ـ "أصل سكان بلاد الرافدين":

كان سكان بلاد ما بين النهرين ينتمون أساسًا إلى جنسين: السومريين وهم

---

[٢] العراق بين الجغرافيا والتاريخ www.alphraeen.com.

[٣] أ. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية د.عبد الوهاب المسيري، المجلد الرابع، ص٦٧، المرجع السابق.

سكان غير ساميين يتوطنون فى جنوب البلاد عند رأس الخليج العربى وشماله، ولازال الباحثون مختلفين حول الأصل التاريخى لهم أو الجنس الذى ينتمون إليه، وإن كان البعض يعتقد أن موطنهم الأصلى مرتفعات فارس أو المنطقة التى تقع وراء الخليج العربى.

والجنس الثانى هم الأكاديون فى الشمال وهم من الساميين الذين هاجروا من الجزيرة العربية واستقروا فى "أكاد" "شمال سومر".

ويرى بعض العلماء أن السومريين ينتسبون إلى الجنس السامى، ولكن الأبحاث التى أجراها علماء الأنثربولوجيا أوضحت خطأ ذلك. حيث دلت على الجنس السامى ـ أى أن السومريين ينتسبون إلى الجنس السامى[4].

كانت بلاد ما بين النهرين منقسمة إلى قسمين أو مملكتين وهما: مملكة "سومر" فى الجنوب، ومملكة "أكاد" فى الشمال. وكان العهد السومرى أولاً فسيطر السومريون على بلاد ما بين النهرين فسميت الأماكن التى تمكنوا من فرض سيطرتهم عليها ببلاد "سومر" وسميت الفترة التى حكموا خلالها بالعهد السومرى والحضارة التى خلفتها الشعوب الخاضعة لها فى هذه الفترة بالحضارة والتراث السومرى. ثم انتقلت السيادة إلى مملكة "أكاد" وتمكن ملوك أكاد من السيطرة على بلاد سومر ومناطق ما بين النهرين بالكامل وذلك بسبب ضعف الملوك السومريين ونشوب الخلافات بينهم على السلطة، فسميت البلاد عندئذ بالأكدية. ثم بعد ذلك تناوبت السلطة بين سومر وأكد وعرفت هذه الفترة بالفترة السواكدية وذلك حتى ١٧٩٢ق.م .

٣ ـ "من حمورابى إلى نبوخذ نصر":

أ ـ فى أوائل الألف الثانى قبل الميلاد قامت فى العراق أسرة حاكمة جديدة

[4] أ. تاريخ النظم القانونية والاجتماعية ج٢ ص١٠٢ د/ صوفى أبو طالب.

عرفت باسم "سلالة بابل الأولى" وكان ذلك ما بين (١٨٩٤ق.م - ١٥٩٥ق.م)١٠ اشتهرت بملكها السادس حمورابى (١٧٢٨ق.م - ١٦٨٦ق.م) الذى جمعت فى شخصيته خصالاً فذة جعلت منه قائدا سياسيا ومصلحا ومُشرّعا، فاستطاع أن يوحد ممالك العراق المنقسمة (أكاد، سومر) وأصبحت تسمى "بابل" وفى أقصى الشمال "آشور". ثم وقعت حرب بينه - حمورابى - وبين العيلاميين وانتصر حمورابى على العيلاميين. ومد فتوحه بعد ذلك إلى شمالى بلاد الرافدين وإلى جهات الهلال الخصيب.. ومن أهم أعماله (مرونة حمورابى)°.

ب - تحتوى مسلة حمورابى على ٢٨٢ مادة قانونية تشريعية فى مختلف شئون الحياة.. وتولى الحكم بعد وفاة حمورابى خمسة ملوك آخرهم "سمسوديتانا" حيث هاجم الحيثيون البلاد فى زمنه بعد أن ضعفت حتى احتلوها، وخربوا العاصمة ونهبوا كنوزها ثم قفلوا راجعين إلى جبال طوروس.. وكان ذلك فى عام ١٥٩٤ق.م وقد استمرت دولة حمورابى قرابة قرنين من الزمان. وسمى هذا العصر - عصر الحيثين - بـ "العصر البابلى الوسيط" الذى يعد من العصور المظلمة فى العراق.

جـ - الآشوريون :

ترجع أصول الآشوريين إلى القبائل العربية التى استقرت فى منطقة نهر دجلة فى الألف الرابعة قبل الميلاد، وأسست تلك القبائل مدينة آشور، وهناك رأى آخر يرى أنهم جاءوا من جنوب العراق من أرض بابل وحلوا فى شمالى بلاد الرافدين فى زمن لعله فى العهد الأكدى ومما يدعم ذلك - عند من يقول بذلك - أنهم يتكلمون بلهجة من اللهجات البابلية، ويرى غالبية المتخصصين أن اسمهم مشتق من اسم معبودهم الإله "آشور".

° أ. تاريخ النظم القانونية والاجتماعية ج٢ ص١٠٣، تاريخ العراق القديم د. عبد العزيز صالح. ويرى البعض أن حمورابى ملك بين عامى (١٧٥٠ - ١٧٩٢ق.م).

استوطن الآشوريون القسم الشمالى من العراق الذى عرف من النصوص المسمارية بـ "بلاد آشور" وهو كبقية أقسام العراق شهد حياة إنسان العصر الحجرى القديم فى وقت مبكر قبل قسمه الجنوبى. وظهرت أيضًا قرى زراعية فى العصر الحجرى الحديث[٦].

د ـ الدولة الكلدانية "البابلية الجديدة":

كان الآشوريون قد صنعوا أكبر إمبراطورية فى التاريخ حتى تلك الفترة ولكن بسبب نقص الخبرة فى تدبير شئون إمبراطورية بهذا الحجم. من حيث المساحة ومن حيث تعدد الشعوب والمعتقدات والثقافات فقد بدأت تلك الإمبراطورية الآشورية بالتفكك وهذا ما أعطى الفرصة للكلدانيين لإقامة مملكة بابلية ثانية بقيادة نابوبولاصر. (٦٠٦ ـ ٦٢٥ق.م).

الذى كان يحكم بابل والذى قام مع حلفائه الميديين فى إيران بالزحف على آشور ودمرها سنة ٦١٤ق.م ، ثم تابع زحفه نحو نينوى سنة ٦١٢ق.م فتمركز الجيش الآشورى فى حران تحت قيادة "آشور باليط" الذى استنجد بالفرعون "نخو" الذى استجاب لاستغاثته ولكن دون فائدة فقد انهزم الجيش المصرى بالقرب من حاران وبذلك تفرقت وتشتت القوات الآشورية.

وبدأت فترة الحضارة البابلية الحديثة ـ الكلدانية ـ بعد أن تولى الحكم نابوبولاصر سنة ٦٢٥ق.م فى بابل، وأسس المملكة الكلدانية والتى وصلت إلى قمة مجدها فى عهد نبوخذنصر (٦٠٥ ـ ٥٦٢ق.م) وقام نبوخذنصر بعدة حملات عسكرية ـ قبل وبعد استلامه الحكم ـ منها ما قام به على مملكة يهوذا فى غضون عشرين عامًا، وكان قد ابتدأها سنة ٦٠٦ق.م حيث كان يشارك أباه الحكم، والذى كان يحكمها حين ذاك ـ يهوذا ـ الملك يهوياكين ٥٩٨ق.م[٧] حيث استولى من خلالها على كنوز الهيكل المقدس فى أورشليم، كما أنه قام

[٦] ص٨٩ تاريخ الشرائع السامية.

[٧] أ. على الانترنت ملفات/ منتديات كواسر/ الحضارة البابلية.

باقتياد عدد من الأسرى كان من بينهم عائلة النبى دانيال.

٤ ـ "المعتقدات الدينية":



مما لا خلاف عليه أن الدين لدى الشعوب القديمة التى عاشت فى بلاد ما بين النهرين كان له دور مهم فى الحياة اليومية، وقد حكم ملوك العراق القدماء باسم الحق الإلهى، باعتبارهم ممثلين للآلهة ونوابًا عنها أو ما يسمى بنظام "الدولة الثيوقراطية" وكانت الآلهة متعددة، وكان الملك يجمع السلطتين الدينية والدنيوية ـ الملكية ـ بيده، فهو القائد الأعلى فى الحروب، والملك فى وقت السلم ورئيس الكهنة وممثل الآلهة فى إدارة المعابد ورعاية شئون الرعية. وقد أصبح الملك بعد انتقال الحكم من السومريين إلى الأكديين الساميين ينظر إليه كإله بشرى يحكم باسم الآلهة كما كان فرعون فى مصر. لذا فقد وضع الملوك الآكديون أمام أسمائهم الإشارة الخاصة بالآلهة.

وهى: ١ ـ دنكو السورية أو (ايلو ـ أو ايلو السامية) التى تعنى الإله، وقد تغير الاعتقاد بعبادة الملك زمن سلالة حمورابى أو الدولة البابلية الأولى. وأصبح يمثل الآلهة فى الأرض بالرغم من أنه بشر يكلم الآلهة ويراهم ويتلقى منهم الأوامر، ويؤيد ذلك ما نراه واضحًا فى مسلة حمورابى المشهورة التى يقف فيها الملك أمام الإله. ٢ ـ الشمس إله الحق والعدالة وقد قال حمورابى إن الآلهة قد نادتنى لأمنع الأقوياء من أن يظلموا الضعفاء وأنشر النور فى الأرض وأرعى مصالح الخلق.. وقد تغير مفهوم الملك فى الدولة الآشورية، وأصبح يعد الرئيس الأعلى للدولة والقائد للقوات وفارس الفرسان فكانت مهمته سياسية وعسكرية ودينية، وكان يرى الآلهة فى الرؤيا كما رأى آشور بانيبال الآلهة. ٣ ـ عشتار

آلهة اربائيلو عندما همّ بمحاربة الثائر العيلامى تى اومان ونظرًا لتعدد الآلهة فقد كان لكل إله عمله وأعياده الدينية المعينة. ولكن أهم هذه الأعياد هو عيد رأس السنة الجديدة[8] أو عيد السنة البابلية والذى يسمى بعيد الحيتو[9].

٥ - "النظم الإدارية":

نشأت بلاد ما بين النهرين فى شكل دويلات متعددة تتكون كل منها من مدينة معينة وما يحيط بها من أراض، وهكذا قامت دول المدن كما أسماها المؤرخون، وعلى هذا النحو كانت المدينة هى الخلية الأساسية فى التنظيم السياسى وكان تأسيس المدينة عملًا إلهيًا يتم بناؤها على أوامر الآلهة. كما تشير الوثائق التاريخية إلى أن ملوك بلاد ما بين النهرين قد استعانوا بالوزراء لمساعدتهم على إدارة البلاد، وعلى رأس هؤلاء الوزير الأول المسئول مباشرة أمام الملك. ولعبت المعابد دورًا مهمًا فى الحياة الاقتصادية للبلاد، حيث كانت للآلهة أملاكهم الخاصة ومخازن غلالهم وعبيدهم، وهى أملاك تتبع المعابد التى تتصرف فى ريعها. وقد تكونت هذه الأملاك مما كان يقطعه كبار الملاك للمعابد أو ما يقدمونه إليها من أملاك طلبًا لرضاء الآلهة وتجنبًا لغضبهم.

وكانت المؤسسات الرئيسة فى كل مدينة هى المعبد والقصر الملكى. وخلال فترات السلطة المركزية كانت المدن تحكم من قبل الملوك، أما المدن الأخرى فكانت تدار من قبل الحكام، وكانت السلطة فى الواقع بيد ثلاث مجموعات هى:

١ - المعابد.

٢ - الملك.

---

[8] انظر المرجع السابق.

[9] انظر تفصيلا كتاب "بنو إسماعيل وأنبياء العرب السامية" للمؤلف.

٣ ـ المجتمع.

وكان الملك هو الرئيس الإدارى الأعلى، وكان الملك فى البداية يجد صعوبات كبيرة فى التوفيق بين مفهوم السلطة الملكية ومفهوم استقلال المدن التى تخضع لها، ولكن توحيد البلاد سياسيًا فى عصر السيادة البابلية أدى إلى تقوية السلطة المركزية، وإخضاع كل مرافق الدولة لموظفين يعينهم الملك، ولم يعد الأمراء المحليون سوى موظفين يعينهم الملك وينقلهم متى شاء من مدينة إلى أخرى كما ذكرنا.

وكانت أجور الموظفين كأجور الجنود الذين اتخذوا الجندية مهنة لهم تتمثل فى الإقطاعات من الأرض يقطعهم إياها الملك، كما كانت الوظائف يتوارثها الأبناء فن الآباء[١٠].

وكانت الملكة هى التى تساعد زوجها الملك فى إدارة البلاد، ويساعدها "النوباندا" أى المشرف العام، وهو أمين خزانة الملك والمشرف على المشاريع والشئون الزراعية، وحاجب القصر ومسجل العقود.

وتشير الوثائق إلى وجود عدد من "النوباندا" يختص كل منهم بالإشراف على قطاع أو عمل معين، ويتبع كل منهم عدد من الموظفين.

ومن الجدير بالذكر أن بلاد ما بين النهرين لم تصل إلى عدم استقرار روح الوحدة السياسية فى بلاد العراق القديمة على العكس مما كانت الحال فى مصر[١١].

---

[١٠] أ. تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية د. محمد نور ص ١٧٠، فلسفة القانون وتاريخه د. فتحى المرصفاوى ص ٢٦٩، تاريخ الشرائع السامية ص ٩٣.

[١١] أ. فلسفة القانون وتاريخه ص ٢٦٩، تاريخ الشرائع السامية ص ٩٤.

٦ ـ "نظام القضاء":

أما ما يختص بالقضاء، فقد كان الملك هو القاضى الأعلى فى بلاد ما بين النهرين. ولكن هذه الصفة اختلفت مبرراتها فى عهد الإمارات قبل الحكم البابلى عنها فى عهد الإمبراطورية أثناء الحكم البابلى، فقد كانت العدالة الكاملة تتمثل فى إرادة الآلهة. وكان على الملوك باعتبارهم ممثلين للآلهة بين البشر أن يعرفوا إرادة الآلهة بكل الطرق الممكنة، ومن ثم وجد الملوك أنفسهم مسئولين عن إقامة العدل والإنصاف لإرضاء الآلهة وتحقيق الأمن والاستقرار، وكان الملك القاضى الأعلى لأنه الكاهن الأعلى.

ومن هنا اتخذ القضاء طابعه الدينى فى البداية، وصارت ولاية القضاء من اختصاص الكهنة فى المعابد بصفتهم نوّابًا عن الملك فى إقامة العدل بين الناس، ولذلك أطلقت الوثائق على هذه الطائفة من القضاء[١٢]. وكان الكهنة يجلسون للحكم بين الناس إما داخل المعابد أو على أبوابها.

وكانوا يصدرون أحكامهم فى المعابد نفسها تأكيدًا للصفة الدينية للقضاء، وقد وجد بجوار هذا القضاء الدينى نوع من القضاء المدنى كان يتمثل فى اختصاص قضائى يقوم به رؤساء العشائر أو القبائل، أو فى مجلس الشيوخ الذى كان يتكون من أعيان الإمارة أو المدينة، وكان هذا المجلس يعاون الملك فى إدارة شئون الإمارة، ثم تلاشت اختصاصاته قبل الحكم البابلى بالتدريج ولم يبق منها إلا القليل[١٣].

وقد كان القضاة المدنيون بين دينى ومدنى إلا أن القانون المطبق كان واحدًا أمام المحكمتين، وهو ما دفع بعض الباحثين إلى القول إن الفرق الوحيد بين نوعى المحاكم كان فى مكان عقد الجلسة.

---

[١٢] أ. فلسفة القانون وتاريخه د. فتحى المرصفاوى.

[١٣] تاريخ الشرائع السامية ص ٩٥.

وقد كان القضاة المدنيون يلقبون بأسماء المدن التى يعملون بها فيقال قضاة بابل، وقضاة بارسيبا وقضاة لارسا.

وظل الملك هو القاضى الأعلى بعد التوحيد السياسى للدولة - على يد حمورابى - فى بداية الحكم البابلى - الدولة البابلية الأولى. .

ولكن ليس بصفته الكاهن الأعلى وإنما بصفته صاحب الأمر والنهى. وتورد الوثائق ذكر القضاة وعدم وجود القاضى الفرد، ويبدو أنه إذا ورد ذكر قاض معين فإنه يقصد به رئيس المحكمة، وكان يسمى (ديان) مما يكشف عن تعدد القضاة وعدم وجود القاضى الفرد.

وكان عدد من قضاة محاكم أول درجة يتراوح بين أربعة وثمانية، وكان يلحق بهم عددا من المعاونين من أهمهم:

١ - الكاتب.

٢ - حامل الرسائل والإعلانات.

٣ - أمين المحفوظات.

٤ - الساعى.

وتكشف ألقابهم عن طبيعة وظيفتهم التى كانوا يقومون بها[١٤].

٧ - "أهم مظاهر الحضارة فى العراق القديم":

حضارة العراق أصيلة كحضارة مصر القديمة، ولقد أثرت كل منهما فى الأخرى منذ أقدم العصور، وتمثلت أهم المظاهر الحضارية فى بلاد ما بين النهرين فيما يلى:

---

[١٤] أ. المرجع السابق.

١ ـ العمران:

أ ـ حيث اهتم السومريون بإقامة المدن الكبيرة وتجميلها، وبنوا فيها القصور الفخمة والمعابد الكبيرة، تحيط بها المنازل الصغيرة، وقد ساعدهم على ذلك نبوغهم فى العمارة والنحت، ومن أهم هذه المدن مدينة "بابل" التى تميزت بأسوارها الجميلة ومعابدها الرائعة ذات الأبراج.

ب ـ أيضًا برع البابليون فى زراعة الأشجار على مدرجات الجبال، وبذلك أنشأوا حدائق جميلة عرفت باسم "حدائق بابل المعلقة"[١٥] والتى تعتبر إحدى عجائب الدنيا السبع القديمة.

جـ ـ وقد اشتهرت مدينة بابل بطريقها المقدسة الفخمة، التى كانت تمر منها مواكب الآلهة فى الأعياد الدينية، وفى نهاية هذه الطريق أقيمت بوابة عالية ذات أبراج سميت بـ"بوابة عشتار". أيضًا اشتهرت فى العهد الآشورى مدينتا "آشور" و"نينوى"، وقد اهتم الملك الآشورى "سنحاريب" بتعمير مدينة "نينوى" عاصمة الآشوريين بعد أن خرّب مدينة بابل، وبنى بها المعابد والقصور ودور الحكومة، وأحاطها بالأسوار وحفر قناة لجلب المياه العذبة بدلًا من مياه نهر دجلة المليئة بالرواسب. وقد عثر بين بقايا هذه المدينة على عدد كبير من التماثيل الفخمة والنقوش الرائعة.

٢ ـ الحياة الاقتصادية:

تمثلت الحياة الاقتصادية فى الزراعة، التجارة، الصناعة. حيث:

أ ـ الزراعة: عمل السومريون على تجفيف المستنقعات، وإقامة الجسور لتجنب الفيضانات، كما اخترعوا الآلات الزراعية كالمحراث والشادوف وآلة بذر البذور.

وكانت أهم غلات العراق: الحبوب كالقمح والشعير، والفواكه والخضراوات،

---

[١٥] سيتم الحديث عنها لاحقًا.

وكانت أهم الحيوانات: الماشية والضأن والماعز[16].

أما ملكية الأرض فى العراق قديمًا فكانت للأفراد، على عكس مصر الفرعونية حيث كانت ملكية الأرض ملكًا لفرعون الملك. وقد شكلت الزراعة وتربية الماشية الجزء الأكبر من ثروة العراق.

ب ـ التجارة: نشطت أيضًا شعوب العراق القديمة فى ميدان التجارة، واستخدم العراقيون القدماء المعادن (النحاس والذهب والفضة) كوسيلة للتعامل لأنهم لم يعرفوا النقود، فقد استعملوا الفضة مثلًا على هيئة صفائح صغيرة أو حلقات أو أقراص مثقوبة ذات أوزان معلومة[17].

وقد اتسعت التجارة فى العراق قديمًا على المستوى الخارجى فشملت معظم بلاد الشرق القديم، وكان من صادرات العراق القديم إلى البلاد المجاورة: الحبوب، التمر، المصنوعات المعدنية، المنسوجات الصوفية، كما استورد العراقيون القدماء أيضًا: الأخشاب الثمينة، الأحجار الكريمة[18].

جـ ـ الصناعة: برع العراقيون القدماء فى كثير من الصناعات المعدنية، فصنعوا الأسلحة وأدوات الزينة والتماثيل من النحاس، واستخدموا الذهب والفضة فى صناعة الأقراط والعقود، كما برعوا فى صناعة المنسوجات من صوف الأغنام، وساعدهم على ذلك وفرة صوف الأغنام.

٣ ـ الفن:

استخدم السومريون والبابليون الحجر إلى جانب المعادن وخاصة النحاس فى

[16] حيث كانت إحدى آلهة العراقيين القدماء على شكل بقرة، واعتقدوا أنها تحمى قطعان ماشيتهم، أيضًا قدّس المصريون القدماء البقرة، واتخذوا منها مظهرًا من مظاهر البر والرحمة. ونستنتج من ذلك وجود علاقة قوية بين مصر القديمة والعراق القديمة كما سنرى لاحقًا.

[17] وهذا يشبه إلى حد كبير استعمال المصريين القدماء أحيانًا حلقات من المعادن فى التعامل.

[18] ويلاحظ أن البابليين كانوا أكثر اهتمامًا بالتجارة من الآشوريين.

صنع التماثيل التى تصور الآلهة والرجال والحيوانات. كما استخدم البابليون المتأخرون ـ أيام نبوخذنصر ـ طوبًا من الخزف لتزيين المبانى.

أيضًا نبغ الآشوريون فى نحت أجسام الحيوانات، وقد ساعدهم على ذلك مهارتهم فى الصيد وركوب الخيل، ومن الأشكال التى برعوا فى نحتها "الثيران المجنحة" والتى كان لها أجسام الثيران ورؤوس البشر وأجنحة الطير. كذلك صوروا الأسود والفيلة، وقد عثر الباحثون على كثير من هذه البقايا فى مدينة نينوى.

٤ ـ الكتابة:

ابتكر السومريون "الكتابة المسمارية" التى سجلوا بها مظاهر حياتهم على ألواح من الطوب اللبن، واستخدموا أقلامًا مسننة من الغاب أو الخيزران أو الخشب، أيضًا استخدم البابليون والآشوريون هذه الكتابة بعد تبسيط إشاراتها.

والذين عرفوا قراءة وكتابة الكتابة المسمارية عرفوا بالكتّاب، وكانت لهم منزلة عظيمة، وكان تعلم الكتابة المسمارية أمرًا صعبًا يستغرق عدة سنوات.

٥ ـ الأدب:

تنوع الأدب البابلى والآشورى، وشمل نقوشًا تاريخية ونصوصًا دينية وقصصًا وأساطير وأبحاثًا علمية ونصوصًا قانونية[١٩] وعقود معاملات ووثائق زواج ومراسلات وجداول حسابية وفلكية وشئون طبية.

٦ ـ الدين:

كان للدين كما أسلفنا فى العراق القديم المكان الأول فى حياة الناس، فشمل

---

[١٩] مثل قوانين وتشريعات الملك حمورابى ومنها:

أ ـ يقتل كل من يشهد زورًا فى قضية جنائية.

ب ـ كل من سرق من المعبد أو القصر يقتل.

جـ ـ إذا بنى بنّاء بيتًا ثم انهار فقتل شخصًا كان جزاء البنّاء الموت.

الكثير من نواحى الحياة، وأثر فى جميع مظاهرها وظهر ذلك واضحًا فى بناء المعابد ذات الأبراج العالية الرائعة، فقد كان المعبد أعظم بناء فى المدينة وكانت الديانة العراقية القديمة تتميز بـ:

أ ـ تعدد الآلهة: حيث تعددت الآلهة عند العراقيين القدماء، كما كانت الحال عند المصريين القدماء، فكان لجميع مظاهر الطبيعة مثل الشمس والقمر آلهة كما كان هناك إلها للحرب[٢٠].

ب ـ الاعتقاد فى الحياة الأخرى: حيث اعتقد العراقيون القدماء أن الموتى سوف يعيشون فى مكان تحت الأرض، وهو عالم الأموات يتساوى فيه جميع الناس الخيّر والشرير، وكانت هذه العقيدة تتمثل بالغموض، واعتقدوا أيضًا أن الميت سوف يحتاج فى حياته الثانية إلى ما كان يحتاج إليه فى حياته الأولى، لذا زودوا مقابرهم بكل ما يحتاجون إليه فى الحياة الثانية من أنواع الطعام والأدوات مثل ما كان يفعل قدماء المصريون.

٧ ـ الأساطير البابلية: (قصة الطوفان)

من أشهر الأساطير الدينية التى ظهرت فى عهد السومريين، وذاع صيتها فى كل العصور "قصة الطوفان" التى تجرى حوادثها كالآتى:

فى يوم غضبت الآلهة على البشر لكثرة ذنوبهم، فقررت القضاء عليهم بتسليط طوفان عظيم، غير أن "أيا" إله الحكمة نصح أحد الرجال الصالحين بصنع سفينة يحمل فيها نماذج من الأحياء، وما كان يفعل ذلك حتى غمر الماء اليابس واستمرت الحال ستة أيام، وفى اليوم السابع تقهقر الطوفان واستقرت على جبل، وخرج ذلك الرجل الصالح هو وأسرته من السفينة، وقدم القرابين إلى

---

[٢٠] ولم يتجه البابليون إلى توحيد الآلهة كما حدث فى مصر زمن إخناتون، ومن أهم آلهة العراقيين القدماء الإله "آنو" الذى لقبوه بـ "أبى الآلهة" وكان يمثل السماء، وقد قدسه العراقيون فى كل مراحل تاريخهم، أيضًا الإله "شمس" وهو الذى أملى على حمورابى قوانينه، الإله عشتار وهى آلهة الحب والحرب وتمثلها زهرة.

الآلهة، فسرت منه ومنحته الخلود وصار إلها مثلها[21].

[21] يتشابه ذلك إلى حد كبير في الأحداث مع ما ذكر في التوراة عن طوفان نوح عليه السلام، ويرجع ذلك إلى تأثر اليهود بتلك المعتقدات وهو في السبي البابلي كما سنوضح لاحقًا.

الفصل الثانى

نبوخذنصر وتدمير

نينوى - ٦١٢ق.م

فى الفصل السابق أجملنا ما ذكره المؤرخون عن بلاد ما بين النهرين وحضارة العراق القديم، والممالك التى قامت فى تلك المناطق حيث السومريون، الأكاديون، البابليون الأوائل، والآشوريون، الكلدانيون ـ البابليون الأواخر.

وفى هذا الفصل سنتحدث عن الآشوريين وهزيمتهم على يد القائد الشاب الكلدانى نبوخذنصر سنة ٦١٢ق.م وأهم الأحداث التى صاحبت هذا الغزو الكلدانى، وهزيمة ملك مصر "نخو" على يد نبوخذنصر.

وبيان ذلك:

١ ـ "الدولة الآشورية ..١١ق.م"

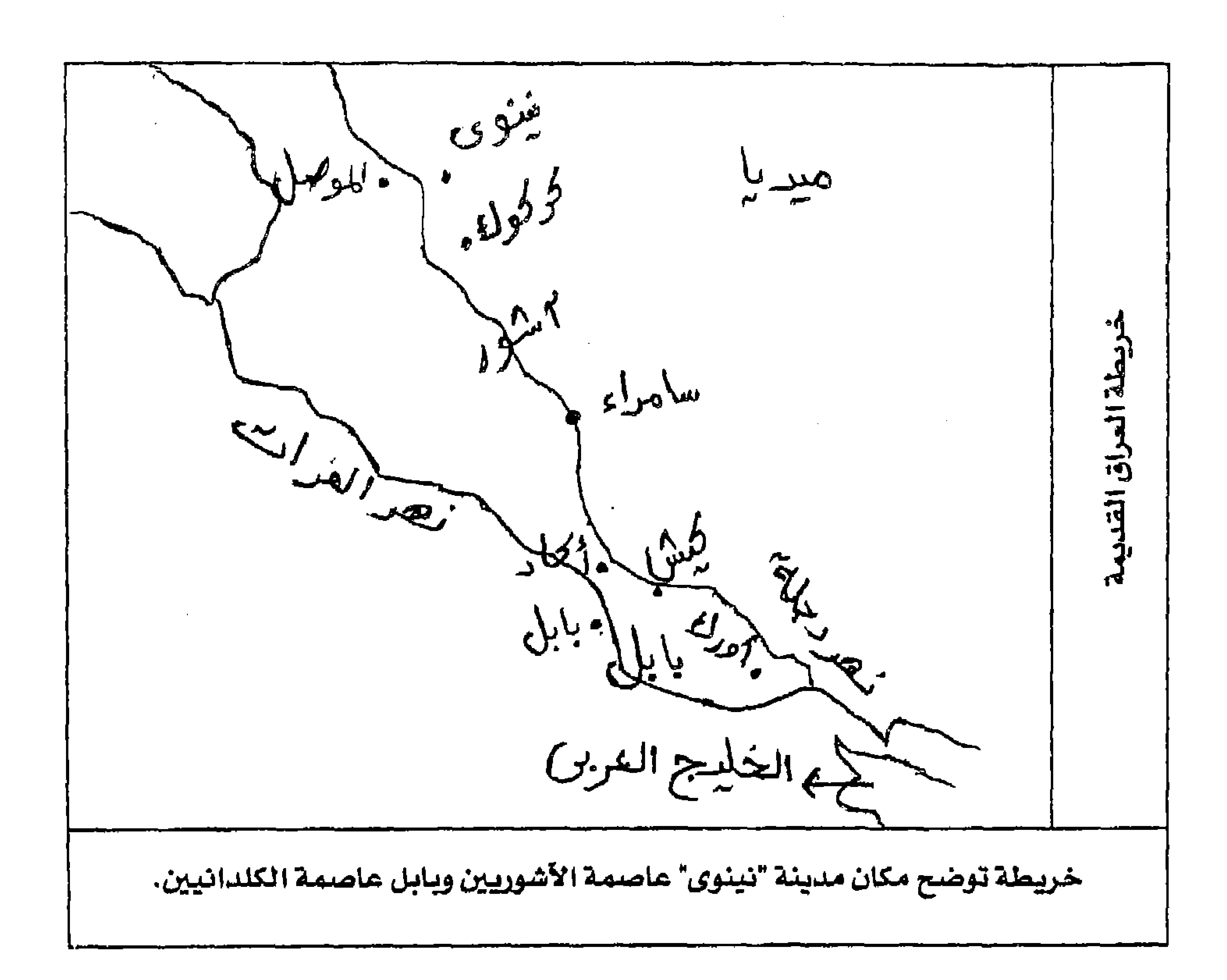
ترجع أصول الآشوريين إلى أصل سامٍ، حيث القبائل العربية التى استقرت فى منطقة نهر دجلة، وأسست تلك القبائل مدينة آشور[٢٢] وسكنوا أول الأمر فى شمال العراق حيث توجد المرتفعات الوعرة المغطاة بالأشجار، لهذا اتصف الآشوريون بالقسوة وأتقنوا القتال والفنون العسكرية، وهاجموا جيرانهم للاستيلاء على ما لديهم من خيرات.

وأقام الآشوريون دولتهم على القوة وكونوا جيوشًا كبيرة، فى الوقت الذى قل فيه الزراع وأصحاب الحرف، وقد استطاعت الدولة الآشورية الاستيلاء على

---

[٢٢] وهناك رأى آخر يرى أنهم جاءوا من جنوب العراق من أرض بابل وحلوا فى شمالى بلاد الرافدين فى زمن لعله فى العهد الآكدى (تاريخ الشرائع السامية ص ٨٩).

بلاد العراق كلها، وبقيت لهم السيادة عدة قرون، ووسعوا ملكهم فضموا سورية ومصر، واتخذوا مدينة "نينوى" عاصمة لهم.



خريطة توضح مكان مدينة "نينوى" عاصمة الأشوريين وبابل عاصمة الكلدانيين.

٢ - "سقوط نينوى ٦١٢ق.م ":

سقطت نينوى عاصمة الآشوريين على يد قوى تحالف ثلاث وهذه القوى:

أ - البابليون: بمنظرهم البهي وهم يحملون الرماح ويعتمرون الخوذات المخروطية الشكل، ويلبسون القمصان المزركشة بالخراشف المعدنية المتداخلة، وكان قائدهم نبوخذنصر.

ب - الميديون: الرشيقون والأنيقون بلبداتهم المشدودة إلى خصورهم وبقسيهم الضخمة.

جـ - السكيت: وهم الخيالة ذوو الوجوه المتوحشة والشعر المشعث والقمصان والسراويل الفضفاضة المصنوعة من الجلد التي كانت تخفق في الهواء أثناء عدوهم، وهم منحنون على جيادهم.

وقد لزم تحالف هذه الشعوب أربع سنوات من القتال الوحشي المستمر إلى أن تمكنت من دحر نينوى والتغلب عليها.

وكان عدد سكان نينوى في ذلك الوقت حوالي ٣٠٠ ألف نسمة وكانت قد انقضت مدة تجاوزت القرن دون أن يتعرض لها أي غاز. وكان عدد الغزاة حوالي ٤٠٠ ألف وكان بعضهم على الجياد وبعضهم على الأقدام وآخرون في المركبات.

وكان آخر ملوك نينوى في ذلك الوقت "سينشار شيكون" ابن الجيل العشرين لسلالة شهيرة، قد أقام على سطح قصره محرقة هائلة، وجلس هو في قاعة مقفلة داخل القصر، بعد أن جمع حوله كنوزه ونساءه وخصيانه[٢٣].

- عوامل وأسباب سقوط نينوى.

سقطت نينوى بعد استمرار طويل على مسرح العراق، ولهذا السقوط عوامله وأسبابه يتمثل فيما يلي:

١ - حقد الشعوب الخاضعة لآشور نتيجة سياسة العنف والتدمير.

٢ - قيام الشعوب الخاضعة لآشور بثورات متكررة نتيجة إهمال آشور استغلال ثروات تلك الشعوب.

٣ - وقوع آشور في قبضة الفرس والقضاء على استقلالها سنة ٦١٧ق.م .

٤ - وقوع ثغرة أحدثها فيضان نهر دجلة في السور الشمالي للمدينة.

اندفعت جماهير الغزاة منقضة على نينوى التي سُدّت أزقتها بالجثث وركام

---

[٢٣] أ. ص ١٢نبوخذنصر. ترجمة فيليب عطا الله.

الجدران، فكان الجنود يتقدمون فى هذه الأزقة ويتعثرون فيمسكون تحاشيا للسقوط بأشياء متكلسة ومنتصبة كما تنتصب الجزوع الملتوية السوداء فى الغابة المحروقة، وقد جرفتها مياه "نحونسور" التى بلغ مستواها على طول الأسوار، ومع ذلك المد من المياه اندفعت حشود الجنود المنتصرة وأخذت تتوزع بين الجدران المتزعزعة بقصد الإمعان فى التخريب والتدمير.. وما كان يشغل بال نبوخذنصر فى ذلك الوقت حلفاؤه ـ السكيت والميديين ـ حيث كان يريد الانفراد بنتاج هذا الانتصار والغزو وحده.

فحكم على السكيت بأنهم لا يُخيفون لأنهم برابرة جهلة وسيتقاضون أجرهم من التسابق على السلب والنهب ـ الغنائم.

لكن الميديين يريدون حصة وعلى نبوخذنصر أن يتحالف معهم، ولم لا أليس باستطاعته أن يبعد طموحهم عن بابل بتحويل هذا الطموح نحو تلك الأراضى الغربية المليئة بالأسرار؟ فضلا عن ذلك ألم يتزوج منذ سنتين "آميتيس" ابنة ملك الميديين "سياكسار" وفى ذلك أفضل ضمانة لسلامة بابل"[٢٤].

وبالفعل فقد تم اقتسام الإمبراطورية الآشورية، وقد أعطى سياكسار ملك الميديين البلدان الواقعة إلى الشمال الشرقى من بابل، وورث نبوخذنصر تلك التى فى الجنوب الغربى.

٣ ـ "نبوخذنصر يهزم فرعون مصر":

بعدما تخلص نبوخذنصر من "آشورباليط" ملك نينوى، وتغلب على الوجود الآشورى، بقى أن يؤمّن المملكة الجديدة ـ بابل ـ وظهر فرعون مصر الملك "نخو" الذى قد استنجد به ملك آشور من قبل.

ولكن لماذا اتخذ الفرعون "نخو" قرار الحرب ضد الكلدان؟ هل لأنه كان

---

[٢٤] المرجع السابق ص ١٤.

يحلم بالغزو والامتداد؟

والإجابة هى لأنه كان يخشى هؤلاء الكلدان.

فقام بتنظيم جيشه لهذه الغاية، وجند المرتزقة اليونانيين وفتح مضيق السويس سالكًا بذلك طريق كبار الفاتحين من السلالة الثامنة عشر، فاحتل - بدون مقاومة تذكر - فلسطين، وفينيقيا، وسوريا، وبلغ نهر الفرات عند مدينة قرقميش.

وقد حاول يوشيا ملك يهوذا الوفى لتحالفه مع بابل أن يتصدى له ويمنع مروره، ولكنه لم يستطع ذلك ثم سحق الجيش الإسرائيلى فى ماجيدو، وأصبحت الطرق مفتوحة أمامه باتجاه بابل.

عندئذ وضع الملك "نبوبولاصر" والد نبوخذنصر جيوش المملكة مجددًا تحت إمرة ولده نبوخذنصر، وزحف نبوخذنصر بجيشه فالتقى "بنخو" أمام "قرقميش" حيث هزم الجيش المصرى، وأرغمه على التقهقر والتراجع بسرعة على طول الساحل، وانطلق نبوخذنصر يلاحق الجيش المهزوم. حتى تمكن من استعادة فينيقيا وفلسطين ويهوذا ومؤاب وعمون، وتابع زحفه حتى بلغ وادى النيل التى بفضلها كانت مصر دائمًا تؤخر زحف المنتصرين عليها، والتى سبق للفاتحين الآشوريين الكبيرين "أسرحرون" و"سنحريب" أن تسلقاها قبله.

ووصل - نبوخذنصر - إلى قلعة "بيلوز[٢٥]" ومسلاتها وهياكلها، ومع أن نبوخذنصر كان قد احتل قلاعًا كثيرة أخرى، إلا أنه رأى أن هذه القلعة ستحقق له المجد والعظمة، فإذا ما احتل بيلوز انفتحت أمامه الطريق إلى "ممفيس" كما انفتحت من قبل أمام أسرحدون وأصور بانيبال.

---

[٢٥] بيلوز. قلعة مصرية أنشأها المصريون لصد المعتدين، حتى لا يحدث ما حدث من الفاتحين الآسيويين من قبل، فعملوا من بيلوز قلعة حصينة مؤهلة لأن تسحق أى معتد كان، وكانت قلعة عسكرية حصينة ومهمة كمركز تجارى للعالم القديم، فمرفأها كانت تلجأ إليه السفن التجارية الفينيقية والسورية واليونانية والقبرصية. (نبوخذنصر ص ١٦).

ـ الاستعداد للمعركة ووفاة نبوبولاصر

وفيما كان نبوخذنصر يتهيأ للمعركة الحاسمة معدًا لجيشه ـ مجهزًا إياه ـ انطلق فجأة نداء رنان حيث رسول من بابل فتوقف أمام نبوخذنصر وأخبره بوفاة والده "بنوبولاصر".

ولما اجتاحت المعسكر الكلدانى الضجة ثبت للكل بأن ساعى البريد قد حمل إلى نبوخذنصر وفاة الملك "نبوبولاصر والده وملكه.

وكان يخشى من أخيه الصغير "نبوشومليشير" من أن يستغل غيابه ووفاة والدهما ويستقل بالعرش الكلدانى ويفرض هيمنته عليه وعلى بابل.

وهذا النبأ الفاجع شتت تركيز نبوخذنصر، وشغل باله لأن النصر على فرعون مصر وعلى مصر، وتحقيق أحلامه فى اجتياز وادى النيل هى جل أمانيه، ولكن ما فائدة الفتوحات طالما أن عرشه ذاته فى خطر؟

فتدبر الأمر، فوجد أن أفضل حل لهذه الحيرة هو عقد هدنة مؤقتة مع الفرعون نخو"هدنة تحقق لنخو بعض الترضيات الأدبية، وتتيح لنبوخذنصر أن يكون حرًا طليقًا فى تنظيم وتثبيت دعائم مملكته، وفى وضع الأسس والقواعد الثابتة لتلك المملكة فى بابل، إذ يجب أن تكون بابل عاصمتها وأن يكون هو سيدها. ووافق "نخو" لأنه رأى فى الهدنة مشروع سلام.. فالفرعون عمل حساباته جيدًا بعد أن لمس فى قرقميش تفوق الكلدانيين فى معاركهم ضد التشكيلات المصرية، وهو أكثر إصرارًا من نبوخذنصر الذى يعرض عليه الهدنة كى يعود يومًا ويفرض إرادته على مصر.

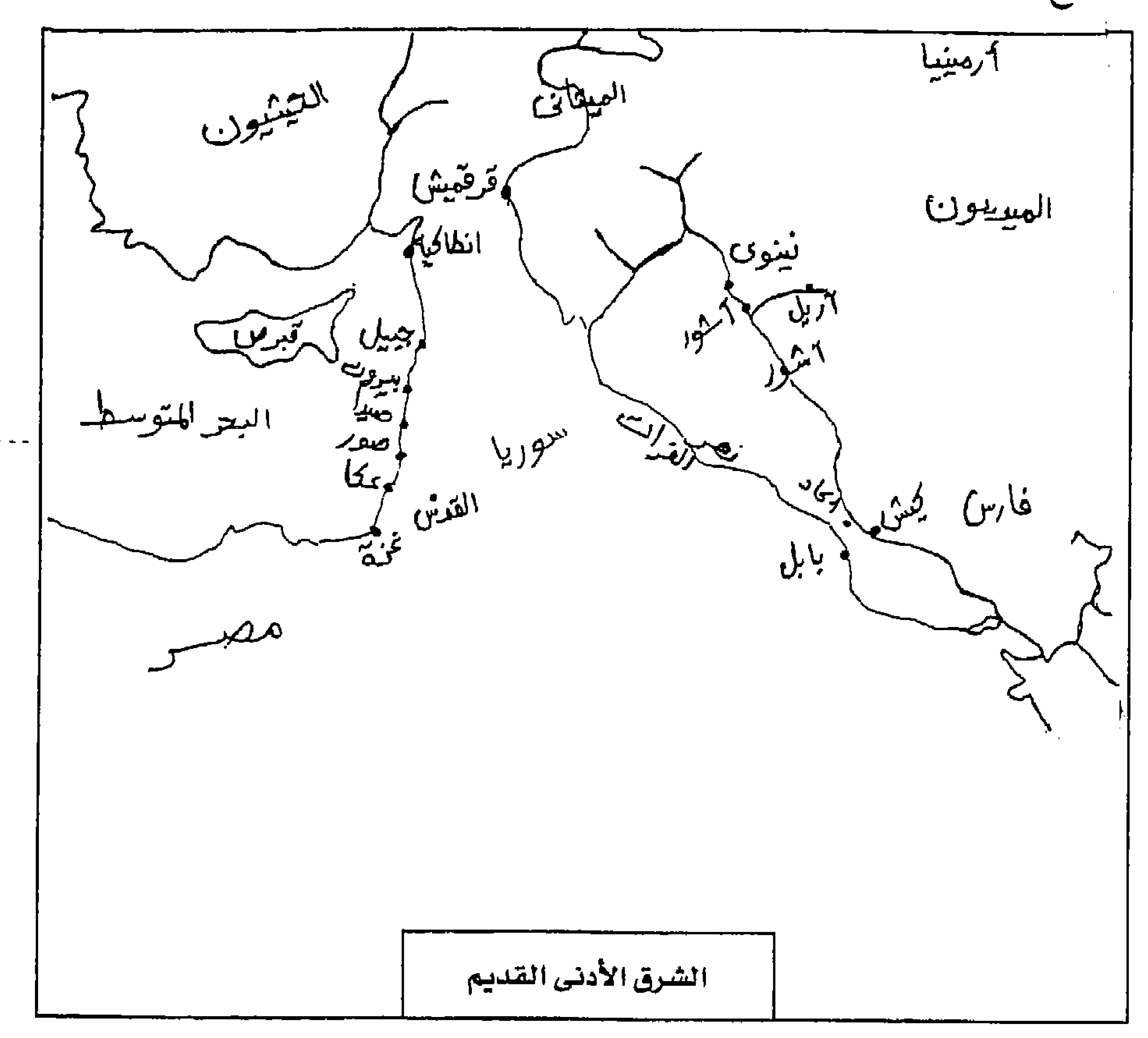
ورأى "نخو" بأنه وأى قائد غيره لا يستطيع الاستمرار إلا إذا كان سائدًا على البحر، فبابل مهما كنت قوتها الغازية قوية لن تتوفر لها إطلاقًا إمكانات التوسع ما لم تكن تملك منفذًا على البحر.

لذا حاول "نخو" أن يستفيد من سنوات الهدنة كى يجهز مصر بأسطول عملاق من المراكب ذات المقاذيف الثلاثية الصفوف، ومن السفن الشراعية الحربية والبوارج ذات المهاميز القوية.

فبفضل هذا الأسطول سيصبح "نخو" سيد البحر المتوسط، وستضمن له هذه السيادة البحرية القوية صداقة كل الشعوب العائشة من هذا البحر ـ الفينيقيين والإسرائيليين وحتى شعوب الشمال.

وسوف يحتاج فى ذلك إعادة حفر قناة "سيمتا" التى بربطها البحر المتوسط بالبحر الأحمر.. ستؤمن لمصر مراقبة المقايضات الأساسية للعالم وبالفعل أُبرمت معاهدة الهدنة، والتى تثبت سيادة بابل على سوريا بأجمعها وعلى نهر الفرات حتى تخوم مدينة العريش.

وكى تُرسخ هذه الهدنة عرض نخو ابنته "نيتوكريس" إلى "نبوخذ نصر" لتصبح زوجته الثانية"[٢٦].



الشرق الأدنى القديم

[٢٦] أ. المرجع السابق.

وهذه الخريطة توضح مسار الحملة المصرية واحتلالها لسورية وفلسطين حتى نهر الفرات عند مدينة قرقميش على يد فرعون مصر "نخو" ثم هزيمة "نخو"واستعادة سيطرة الكلدان على هذه المناطق، وتتبع الجيش المصرى المهزوم حتى وادى النيل.

وتوضح أيضًا أماكن الشعوب المتحالفة مع نبوخذنصر ـ المديين والسكيت.

٤ ـ "نبوخذنصر يعود على بابل":

وبعدما عقد نبوخذنصر معاهدة الهدنة مع فرعون مصر "نخو" ترك جيشه وغنائمه فى عهدة كبار قادته، وقرر الرجوع إلى بابل بسرعة كى يقضى على الدسائس ويقطع دابر المؤامرات التى تحاك، ويستدرك التخليات عنه التى كان يُعمل لها. ولم يسلك الطرق المتعرجة العادية التى تمتد من قرقميش حتى بلاد ما بين النهرين وانطلق عبر الجزيرة العربية، واجتاز المسافة المحاذية لبحر آكادور الكبير حتى بلغ بلد آدوم وهناك انحرف يمينًا باتجاه الصحراء العربية. ووصل إلى بابل إلى القصر الملكى.

وأخذ نبوخذنصر يعمل على كسب ثقة الكهنة والآلهة من ناحية، وعلى تأمين مملكته من ناحية أخرى.

<u>وبيان ذلك:</u>

أولًا: على الصعيد الأول ذهب إلى المعابد وأمر بتجديد وإصلاح وتوسيع مساحاتها. حيث:

١ ـ ذهب على قلعة عشتار وأمر أحد الكهنة أن يكتب

"نبوخذنصر ملك بابل ابن نبوبولاصر ملك بابل أنا سوف أشيد باب نانا "اسم لعشتار" بالقرميد المطلى بالميناء الأزرق من أجل مردوك سيدى وسأضع على عتبات الأبواب ثيرانًا قوية من النحاس، وحيات جبارة!".

وأمر نبوخذنصر أن تكون الأبراج أكثر ارتفاعا وأكثر سماكة.

٢ ـ هيكل إيزاجبيل أو بعل ـ مردوك: المكسوّ بالصفائح الذهبية، وهو العمل الأول للخلق الإلهى، ومن "أريدو" نقله حمورابى إلى بابل حيث كل القادة الكبار والملوك المشهورين جاءوا إليه يسعون من خلال التنصيب الإلهى تتويج انتصاراتهم، وإحاطة مآثرهم وأعمالهم الباهرة بهالة من التقديس فكان هناك "دونجى" ملك أور، الذى لم يخش أن يعرّض كنوزه للسلب فى العام ٢٤٠٠ق.م فالملك "كاسيت" آغوم كاكريما الذى خصص كتابته فى العام ١٧٠٠ق.م لما قام به من تحميل فى المعبد المذكور، فملك آشور "شملنصرّ" الثانى الذى حوالى العام ٨٦٠ق.م دخل على بابل كفاتح، لكنه أغنى بتقدماته هيكل بعل ـ مردوك، فملك بابل مارداخ بالادان الثانى فملك آشور سنحريب، ثم أسرحدون وآشور بنيبال وكلهم وكلهم وكلهم أظهروا سخاءهم وأريحيتهم فى ترميم وتجميل "إيزاجيل" بيت القمة المرتفعة.

وكان والد نبوخذنصر "نبوبولاصر" قد عاهد نفسه بأن يعمل لإيزاجيل أفضل مما عمله الآخرون، لكنه هو ـ نبوخذنصر ـ من سيضع آخر خاتم على الأعمال التى قام بها كبار الأسلاف عرفانًا بالجميل، كى تشهد فخامة هيكل الإله الذى سيوليه الملك وعبر العصور على عظمة وبهاء مملكة لا يساور طموحه فيها أى شك.

فأمر ـ نبوخذنصر ـ بارتفاع فخامة وعظمة وصلابة جدران إيزاجيل.

٣ ـ ثم اتجه إلى مدينة الآلهة وكان الجدار مرتفعًا يعزلها فكانت بمأمن عن تقلبات الدهر والأحوال ولا يستطيع أى عدو أن يعكر صفو الصلوات فيها أنها مربع كبير سماوى محاط بأسوار عالية فوق أشجار النخيل.

لمح نبوخذنصر العديد من الشخصيات فى الحقول والبساتين، وقد دلت أثوابهم على صفاتهم الكهنوتية فتأثر نبوخذنصر بما تعبر عنه وجوههم التى تشهد هلى تجندهم الكهنوتى الشامل كل أنحاء المملكة.

إن بعل مردوك قد صاغهم فى قالب واحد وربط طموحاتهم طموحاته فضمن بذلك تلاحم وقوة المملكة.

واستعرض الملك مختلف المعابد ومختلف الأوراق والأبواب فى ساحة هذا المعبد واحتشد موكب من الكهنة ينتظر نبوخذنصر وكانوا قلقين من قراراته وتقدم هذا الحشد يرأسهم نيرغالوروجر والذى تضاهى قراراته قرارات الملك فى بابل وكان له الفضل فى حفظ عرش نبوخذنصر أثناء غيابه من المطامع التى حيكت لإقصاء الوريث الشرعى عن العرش، فهل سيعرف الملك فضله وفضل آلهته على مملكته أثناء غيابه.

فدخل نبوخذنصر المعبد مع نيرغالوروجر وموكب الكهنة، ووقف الكالو أو المعزمون يعرفون بواسطة طبولهم كيف يسكنون قلوب الآلهة الغاضبة، ودخل نبوخذنصر وكبير الآلهة المقدس الذى يقيم فيه الإله مردوق فوقف نبوخذنصر أمام التمثال الضخم ورفع يديه متوسلا أمام التمثال وقال:

"لقد أوكلت أمرى إلى الإله مردوق. لمست طرف ثوبه ليتفحص رغبات قلبى السرية".

ثم انتصب على طول قامته ورفع يده اليمنى على طول ثوب الإله وخرّ ساجدًا عند قدميه مرة أخرى وقال:

"أرفع يدى أمام سيد الأسياد أسجد حتى يبلغ صوتى الإله مردوق، وقال أيها السيد القدير اجعلنى مفضلا وأطل حياتى حتى الأيام الأكثر بعدًا وامنحنى ذرية مضاعفا ست مرات واجعل عرشى مستقرًا إلى الأبد والنصر حليف سيفى إلى الأبد".

ثم خرج نبوخذنصر حيث الكهنة بانتظاره وقدم الثيران والغزلان والجديان والعجول حول المذبح فقدم كبير الكهنة السكين المقدسة إلى الملك إذ كان عليه نائب الإله على الأرض أن يسيل بنفسه دم الأضحية المقدمة كشهادة على

الشكران وعرفان الجميل على هذا الإله الذى استمد منه القدرة والجبروت وطل قائلا "كن عطوفا يا مردوق على الملك الذى عظمته ومجدت اسمه وإليه أوكلت العدالة أن أشكرك يا سيدى أنا صنيعة يديك ووليتنى الملك على جحافل البشر".

وأمام بوابة مردوق كان الحشد من سكان بابل فلما ظهر الملك بكل بهائه وعظمة مجده لم تصدر أية صيحات لأن الهتافات لم يأتِ أوانها بعد، لقد كان نبوخذنصر يحلم بمسيرات ظافرة ومد إليه الارويغال والشعائر الملكية وأرضى قلب الملك بهذا الجواب".

"ابعد الخوف عنك فإن نابو سيباركك على الدوام وسيبيد أعدائه ويقضى على منافسيك وأخذ الكهنة يترنمون قائلين

"ليعظم مملكتك بنو السيد أول مولود فى آشور"

ليعظم اسمك على مدى الدهور نابو الجليل محبوب الإله ليكتب لك على لوحة نابو العظيم الكاتب الملم بجميع المعارف[٢٧]".

وفى الخارج وكان الوقت قد أصبح ليلًا تصاعد نشيد المجد باتجاه القبة الزرقاء المضاءة بملايين النجوم، وبدا نبوخذنصر كأنه حقق نصرًا جديدًا، ثم سار - نبوخذنصر - وراء مجموعة من الكهنة متبوعًا بنيرغاروصر.

وعندما وصل الموكب إلى الطابق الذى يليه الطابق الأخير دخل قاعة تلفها العتمة، فلمح نبوخذنصر فى هذه القاعة "اللوحات التنجيمية" الشهيرة مصفوفة حول الجدران، وعلى رفوف تبدو وكأن لا نهاية لها.

إنها لوحات صغيرة سبق لها أن طوّعت الكثير من الإرادات الملكية، فأمام الفأل غير الملائم الذى سمحت لنفسها أن تفسره اضطر سنحريب العاتى ذاته الذى كان يتهيأ لشن حرب على السوسيين، إلى التراجع - وكم من الصراعات

---

[٢٧] أ. نبوخذنصر ص ٥٤.

والمنازعات قد توقفت ـ نزولًا عند إرادتها وتنفيذًا لسيطرته. ورأى نبوخذنصر سبعين لوحة مماثلة، وقال له نيرغالوروصر بأنه هنا تكمن "لوحات سرجون" الشهيرة، التى هى القسم الجوهرى والأساسى لكل العلوم التنجيمية.

والتى استخلصها وأمر بتنسيقها هذا الملك الكلدانى العظيم بعد أن جمع حوالى العام ٢٧٥٠ق.م كل بلاد الكلدانيين تحت صولجانه. وأخذ نيرغالوروصر يسمى ويترجم هذه اللوحات لنبوخذنصر وكأنها صلوات دينية:

ـ فؤول الشمس والقمر عندما يكونان مرئيين فى وقت واحد.

ـ فؤول القمر.

ـ فؤول القمر عندما يكون مرئيا فى الثلاثين من شهر كيسلاف.

ـ فؤول القمر عندما يكون مظهره فى الثامن والعشرين من الشهر. شبيهًا بما كان عليه فى أول الشهر.

وتتلاحق على رف آخر اللوحات التالية:

ـ الفؤول السماوية المتنوعة.

ـ تأثير النجوم الثابتة.

ـ تأثير النجوم الثابتة والنجوم السيّارة.

ـ حركة وتأثير كوكب الزهرة السيّار.

ـ تأثيرات أخرى لكوكب الزهرة.

ـ فؤول كل شهر.

ـ تأثيرات الحالة العامة للسماء.

وأخيرًا على الرفين الآخرين:

ـ فؤول كسوفات الشمس:

ـ فؤول الشمس والقمر المرئيين فى آن واحد.

ـ فؤول القمر وحده.

ـ التوقعات المستوحاة من الهالة التى تحيط بالقمر.

ـ فؤول الكوكب السيّار نابو.

ـ فؤول الكوكب السيّار مردوك[٢٨].

لم تكن هناك أية قرنة فى جدار إلا وهى مثقلة باللوحات والكتابات والنقوش التاريخية.

منذ الملك سرجون أدخل العلماء الكلدانيون تحسينات على العلوم الفلكية، وذلك بفضل اكتشافاتهم الرائعة كالمزولة وميناء الساعة الشمسية، والساعات المائية. لكن إذا كانت اللوحات الأثرية قد بدت لهم باطلة بعض الشىء فى أصولهم العلمية، فإن القواعد التى ارتكزوا إليها فى تفسيراتهم للظواهر السماوية التى كانت بدون شك مقبولة من الآلهة فى تلك العصور السحيقة ـ أى قبل الطوفان ـ قد حافظت على كامل قيمتها، فكى يجيبوا على التساؤلات كان لابد للكهنة من اللجوء إلى اللوحات القديمة التى كانت لم تزل تمثل حقيقة مبادئ علم الفلك، ولو أن النظريات الفلكية كانت قد توارثت بفضل تقدم العلم[٢٩].

٥ ـ "علم الفلك والثالوث المقدس فى بابل":

طرح نبوخذنصر سؤالا على أحد كتبته ـ وقد كان رجلًا فى جلال العمر ـ فأعلم هذا الكاتب الملك بأنه منذ دخوله الهيكل لم ينقطع عن مراقبة الصواعق التى تلتمع وتدوى فى عمق السماء واختصر ملاحظاته بأسلوب منطقى وأكد ما

---

[٢٨] المرجع السابق ص ٥٦.

[٢٩] عظمة بابل وإحراق نينوى ص ٥٦.

يلى :

إذا الإله حدد أثار حوله اللغط فى شهر نيزان فينبغى الخوف من اضطرابات فى البلد، وإذا حدث ذلك فى أيار فإن أحقادًا ستتفجر، وإذا حدث فى شهر سيفان فالأغلال ستكون حسنة، وإذا حدث فى شهر تموز فهذه الأغلال ستكون عظيمة، وإذا حدث في شهر كيسلاف فإن مدنًا ستدمر وتقوض، وإذا حدث فى شهر سابان فإن أرجالًا من الجراد ستجتاح البلد، وإذا حدث فى شهر آذار فالبلد سيثور ضد ملكه.

وفيما كان المنجم الشيخ يتباهى بدقة ملاحظاته وحكمه واستنتاجاته وذلك بفيض من الكلام والأفكار المحصورة ضمن إطار حلم واحد فى مأمن من أعاصير الحياة.

واعتقد البابليون بأن الكواكب هى الظواهر الخارجية الحقيقية لهذه الوحدانية الإلهية، وبواسطة العلم والمهارة أيضًا عرف الكهنة البابليون أن يستخلصوا منها الطوالع الخاصة التى تفرج الضيق البشرى إزاء مشكلة المصير.

هذا المبدأ الإلهى الأول ـ الواحد فى طبيعته ـ المتعدد فى تعابيره[٣٠] هو "إيلو" أى الإله الفائق السمو والمكانة.

وكان نبوخذنصر يعتقد بأن هذا الإله اختار بابل كى تكون عاصمة مملكته على الأرض أى عاصمة "باب ـ إيلو".

واعتقد البابليون أيضًا بأن الإلهين "أنشار وكيشار" تزوجا، وولدا بعد تعاقب الأيام الثلاثى الأسمى: "آنو، بعل، آيا" الثالوث الأقدس للآلهة الثلاثة فى إله واحد ـ طبيعة واحدة ـ وقد تأثرت العقيدة المسيحية بهذا الاعتقاد خلال صياغة العقيدة المسيحية فى عصر المجامع المسكونية[٣١].

---

[٣٠] يتشابه هذا الاعتقاد القديم مع معتقد النصارى فى طبيعة الله حيث يعتقدون بـأن الله واحـد فى طبيعته متعدد ـ ثلاثى ـ فى صفاته و تعابيره وأفعاله .

[٣١] انظر تفصيل ذلك "الوثنية فى عقائد النصرانية"، التثليث فى الوثنية والمسيحية" د. حماية.

وكان بعل هو الخالق الأساسى للعالم، الذى ترأس أكثر الكواكب السيّارة سطوعًا هو الكوكب الذى يحمل اسمه.

ومن هذا الثالوث الأقدس تفرعت مجموعة الانبعاثات الإلهية التى كى تكون سهلة البلوغ إلى البشر، تلبست هيئة كوكبية، وقدمت لعبادة الناس كأجرام سماوية كالإله شمس: الشمس، ابن سين، العقل الذى يلج كل شىء ويدبر الكون ويحييه، وسين: القمر، ابن إنليل.

وين: الجلد وابن آنو وتحت هؤلاء وبعد الكواكب السيّارة الخمس الرئيسة: حدد ونيرغال، وعشتار، ومردوك، نابو، يأتى الجحفل الذى لا نهاية له من الآلهة السفلية المتناسلة جيلًا بعد جيل، والتى احتفظت سلالتها بالطابع الكهنوتى، وبهذه الصفة غدت الطبقة الوحيدة التى باستطاعتها فك الألغاز وكشف الأسرار.

وكانوا يقسمون الكواكب إلى:

١ ـ كواكب التنين إلى الشمال، الدب الأصغر إلى الشمال الغربى، الدب الأكبر، الأسد مع نجمة راغيليس فى الشرق.

٢ ـ كوكبة الراقص إلى الجنوب الشرقى كوكبة العقرب، مع نجمة آنتاريس التى بريقها يتجمل بأضواء حمراء كالدم شبيهة بأضواء نجمة بوفييه التى تتلألأ بالقرب من زينيت إلى الشمال الشرقى، الحية وأفيرشوس.

٣ ـ كوكبة النسر مع نجمة فانا ونجمة الإوزة.

٤ ـ الكواكب السيّارة المرئية: آداران (زحل) فى كوكبة العقرب ومردوك (جوبيتين) بين كلاليب العقرب، أما عشتار (الزهرة) ونيرغال (إله الحرب) فهما غير مرئيين[٣٢].

---

[٣٢] وكانوا يجزئون الدائرة إلى ٣٦٠°، الدرجة إلى ٦٠دقيقة، والدقيقة إلى ٦٠ثانية، وقرروا كل ست سنوات زيادة شهر على نهاية السنة كى تصبح ١٣ شهر بدلا من ١٢، وسموا هذا الشهر الأخير "الشهر المتفرع من آزار" (نبوخذنصر ص ٦٠).

وكانوا يعتقدوا بأن:

١ ـ إذا مردوك ـ الذى يقيس مسيرة الشمس ـ التمع هذا المساء ببريق شبيه بالبريق الذى كان عليه فى النهار، وإذا ظهر على جرمه المتلألئ ما أعطاه شكل السيف ذى الحدين، فهذا يعنى أنه فى ظل العهد الذى سيبدأ ملكه اليوم مغمور بالسعادة، لن يستطيع أى سيد أجنبى أن يبسط سلطانه على بلاد الكنعانيين.

٢ ـ هذا فضلًا عن أن واحدة من أربع نجوم ملكية حى سارًا (راغريليس) التى توجه برج الأسد، تعطى الدليل على صحة هذه القوة وهذه العدالة.

٣ ـ وإذا برشاقة فوق مردوك، وفى برج العقرب الذى يحكم اليهودية التمع زحل على مهل بين وسط السماء والأفق الشرقى، فهذا يعنى أن خطرًا يهدد الملك فى هذه الجهة، وأن وراثته ستسبب منازعات شديدة.

٤ ـ أما عن "الإله الشمس" فهو رمز الثروة والمجد، ويحتجب فى برج الجوزاء، وعندما يحدث هذا الاحتجاب فإن ذلك يدل على النفوذ الذى سيمارس على الملك من قبل حاشيته.

٥ ـ الإله "نيرغال" إله الحرب كانوا يعتقدون بأنه موجود فى برج الثور، والإله القمر فى برج القوس.

وكان نبوخذنصر يطالع النجوم والكواكب واستشارة الكهنة المختصين بذلك فى التنبؤ بمصير حروبه.

وذات يوم سأل الكاهن "نيرغالوروصر" عن طالع الكواكب.

١ ـ فسأله عن بلد الكلدانيين ـ بلد الملك ـ فأخبره الكاهن بأنها تحت تأثير برج العذراء، أما عدوتاه: صور وصيدون تحت تأثير برج الأسد وهذا يعنى بأنهما ستخضعان لبابل وتكونان تحت سيادته.

٢ ـ سأله عن مصر؟

فأجابه بأنها تحت تأثير برج الجوزاء، لذا ستتعرض للهزيمة والاجتياح ولكنها لن تكون مدمرة ولا مستعبدة.

٣ ـ سأله عن شبه الجزيرة العربية؟

فأجابه بأنها تحت تأثير برج الثور، رمز الفلاح والقوة التى لا تقهر[٣٣].

---

[٣٣] أ. المرجع السابق ص ٦٠ ـ ٦٥.

الفصل الثالث

من هو نبوخذنصر ؟

في الفصلين السابقين أوضحنا المعالم الأساسية العامة عن حضارة بابل وبلاد ما بين النهرين، وذكرنا الممالك التي تعاقبت عليها وحكمتها، وأوضحنا كيف جعل نبوبولاصر من ابنه القائد الشاب ملكًا عظيمًا فاتحًا، وأيضًا كيف تصدى لهجمات فرعون مصر "نخو" وألحق به هزيمة ساحقة، وكيف حقق الأمان لبابل بعد وفاة والده الملك نبوبولاصر.

بقي أن نسلط الضوء أكثر على هذا الملك الشاب ـ نبوخذنصر ـ وكيف كانت حياته؟ وما هي صفاته؟ وإلى أي مدى امتدت مملكته؟ وما هو الإله الذي كان يعبده؟ وهل ظل وثنيًا طوال عمره؟ أم تحول إلى الإيمان بإله إسرائيل ـ الإله الحقيقي ـ وهل استغنى عن عبادة الآلهة التي كان يستنجد بها ويقدم لها القرابين؟ وعن غزواته وفتوحاته؟.. وما هي سياسته في الحكم؟!!

وبيان ذلك...

١ ـ من هو نبوخذ نصر؟:

هو نبوخذنصر الثاني بن نبوبولاصر بن نبوخذنصر الأول، ملك من ملوك بابل، ويقال إنه كان قائد جيوشها وكان لديه جيش قوي جدًا، قام بغزو القدس وأخرج اليهود منها وسبيهم ونسائهم وأولادهم وأخذ ثرواتهم وأموالهم معه، وهنا كانت نهاية مملكة يهوذا. لقد عاصر الملك نبوخذنصر عددا من أنبياء اليهود ومنهم أرميا وحزقيال ودانيال ويهوياقيم ويهوياكين الملك.

وأطلق البعض عليه نابوليون الكلدانيين الذي أرعش خوفًا وإعجابًا ناسخي

الكتب المقدسة، ورد الغزو المصرى ودمر أورشليم التى سبق له أن أنقذها وقاد شعب إسرائيل العنيد إلى بابل أسير.

وبعد أن حصن عاصمته الفسيحة الأرجاء وأشاد الصروح والمبانى الشامخة، وبعد أن امتدت فتوحاته حتى حدود الجزيرة العربية التى التهمت صحراؤها الكثير من الأمجاد، وترك إمبراطوريته لأبنائه البؤساء المولودين من نساء حرمه، انهارت تلك الإمبراطورية بعد أقل من ثلاثين سنة.

وكان سقوط نبوخذنصر الذى استتبعه فيما بعد سقوط أحشويروش ملك الفرس وابن داريوس سببًا لسقوط آسيا، مما جعل المجال حرًا أمام حضارة البحر المتوسط.

٢ ـ صفاته كإنسان وكملك:

يعتبر نبوخذنصر قائدًا عالميًا عبر التاريخ، كان يستفيد كثيرًا باستخدام الشعوب التى يحتلها مستخدمًا ذكاءه، وكان يستنفذ كل الإمكانات البشرية والمادية للشعوب التى يستولى عليها لحد التحكم بحياتهم، إلا أنه امتاز بالديمقراطية وحرية الفكر، وكان يسمح للشعوب المحتلة أن تعبد أصنامها (آلهتها) وكان يشارك الشعوب طقوسهم الدينية ويحترم آلهتهم.

تعرف على الإله الواحد ـ إله بنى إسرائيل ـ يوم غزا دولة يهوذا فى جنوب فلسطين، وقد بارك الله الملك نبوخذنصر وكان يقوده من انتصار إلى انتصار أعظم ـ كما تقول المصادر اليهودية التوراتية ـ ويعتبر أعظم ملوك بابل.

وقد اشتهر بلقب "مقيم المدن" فقد كان فاتحًا للمدن لا غازيًا وقد ساهم فى نشر ديانة التوحيد ـ ديانة بنى إسرائيل كما تذكر أسفار التوراة ـ .

ولكنه ظن نفسه شبه إله وقد دعوه حاشيته لعمل تمثال من الذهب ليسجد له الجميع، فاغتر حتى وصل إلى نوبة من الجنون أبعدته عن العرش سبع

سنوات،وقد امتاز بأنه يعتمد على مشورة مستشاريه وقد اعترف بمقولته الشهيرة "الكبرياء الزائد تدمير للنفس" ولكنه عاد إلى عقله وإلى توحيد الله فكانت الآية التوراتية بحقه[٣٤] "فالآن أنا نبوخذنصر أسبح وأمجد وأحمد ملك السماء الذى جميع أعماله حق، وطرقه عادلة وقادر على إذلال كل من يسلك الكبرياء" (دا ٣٧ : ٤).

وحلم نبوخذنصر حلما أزعجه فطلب حكماء بابل أن لا يفسروا له الحلم فقط[٣٥] بل أن يحكوا له الحلم، ولما عجز الحكماء ـ طبعًا في أن يخبروه بالحلم قرر أن يبيدهم لولا دانيال اليهودى المسبى الذى صلى إلى الرب إلهه والرب أخبره بالحلم وبتفسيره وهذا الحلم عبارة عن أعجوبة.

وهذا هو نص الحلم من سفر دانيال الأصحاح الثانى:

"١ ـ وفى السنة الثانية من ملك نبوخذنصر حلم نبوخذنصر أحلامًا فانزعجت روحه وطار عنه نومه.

٢ ـ فأمر الملك بأن يستدعى المجوس والسحرة والعرافون والكلدانيون ليخبروا الملك بأحلامه فأتوا ووقفوا أمام الملك.

٣ ـ فقال لهم الملك "قد حلمت حلمًا وانزعجت روحى لمعرفة الحلم".

٤ ـ فكلم الكلدانيون الملك "عش أيها الملك إلى الأبد. أخبر عبيدك بالحلم فنبين تعبيره".

٥ ـ فأجاب الملك وقال للكلدانيين "قد خرج منى القول: إن لم تنبئونى بالحلم وبتعبيره تصيرون إربًا إربًا وتجعل بيوتكم مزبلة.

٦ ـ وإن بينتم الحلم وتعبيره تنالون من قبلى هدايا وحلاوين وإكرامًا عظيمًا فبينوا لى الحلم وتعبيره.

---

[٣٤] هذا فى معتقد من يعتقد فى الكتاب المقدس، وسنرى لاحقا هل هذا صحيح أو لا؟.

[٣٥] انظر على الإنترنت. http//ar.wikipedia.org.

٧ ـ فأجابوا ثانية وقالوا "ليخبر الملك عبيده بالحلم فنبين تعبيره".

٨ ـ أجاب الملك وقال "إنى أعلم يقينًا أنكم تكتسبون وقتًا إذا رأيتم أن القول قد خرج منى.

٩ ـ بأنه إن لم تنبئونى بالحلم فقضاؤكم واحد لأنكم قد اتفقتم على كلام كذب وفاسد لتتكلموا به قدامى إلى أن يتحول الوقت فأخبرونى بالحلم فأعلم أنكم تبينون لى تعبيره.

١٠ ـ أجاب الكلدانيون قدام الملك وقالوا "ليس على الأرض إنسان يستطيع أن يبين أمر الملك لذلك ليس ملك عظيم ذو سلطان سأل أمرًا مثل هذا من مجوسى أو ساحر أو كلدانى".

١١ ـ والأمر الذى يطلبه الملك عسر وليس آخر يبينه قدام الملك غير الآلهة الذين ليست سكناهم مع البشر.

١٢ ـ لأجل ذلك غضب الملك واغتاظ جدا وأمر بإبادة كل حكماء بابل.

١٣ ـ فخرج الأمر وكان الحكماء يقتلون فطلبوا دانيال وأصحابه ليقتلوهم.

١٤ ـ حينئذ أجاب دانيال بحكمة وعقل لأريوخ رئيس شرط الملك الذى خرج ليقتل حكماء بابل. أجاب وقال لأريوخ قائد الملك.

١٥ ـ "لماذا اشتد الأمر من قبل الملك؟" أخبر أريوخ دانيال بالأمر.

١٦ ـ فدخل دانيال وطلب من الملك أن يعطيه وقتًا فيبين للملك التعبير.

١٧ ـ حينئذ مضى دانيال إلى بيته وأعلم حننيا وميشائيل وعزريا أصحابه بالأمر.

١٨ ـ ليطلبوا المراحم من قبل إله السماوات من جهة هذا السر لكى لا يهلك دانيال وأصحابه مع سائر حكماء بابل.

١٩ ـ حينئذ لدانيال كشف السر فى رؤيا الليل، فبارك دانيال إله

السماوات.

٢٠ ـ أجاب دانيال وقال "ليكن اسم الله مباركًا من الأزل وإلى الأبد لأن له الحكمة والجبروت.

٢١ ـ وهو يغير الأوقات والأزمنة يعزل ملوكًا وينصب ملوكًا يعطى الحكماء حكمة، ويعلم العارفين فهمًا.

٢٢ ـ هو يكشف العمائق والأسرار، يعلم ما هو فى الظلمة وعنده يسكن النور.

٢٣ ـ إياك يا إله آبائى أحمد وأسبح الذى أعطانى الحكمة والقوة وأعلمنى الآن ما طلبناه منك لأنك أعلمتنا أمر الملك.

٢٤ ـ فمن أجل ذلك دخل دانيال إلى أريوخ الذى عينه الملك لإبادة حكماء بابل مضى وقال له هكذا "لا تبد حكماء بابل وأدخلنى إلى قدام الملك فأبين للملك التعبير".

٣ ـ "حياة نبوخذنصر العسكرية وكم حكم على بابل؟":

حكم نبوخذنصر ثلاث وأربعين سنة وقد حلم حلما أن الله سوف يعاقبه بسبب كبريائه، وبالفعل أصيب الملك سبع سنوات بجنون العظمة فابتعد عن العرش سبع سنوات وعاش فى الغابة، ولكنه تاب إلى الله فعاد إلى الحكم وتبنى النبى دانيال الملك نبوخذنصر ودعاه للتوحيد بالله، وقام نبوخذنصر بغزو أورشليم عام ٦٠٥ق.م توفى عام ٥٦٢ق.م .

ومن بعده حكم ابنه "ابل مردوخ" عامين من ٥٦٢ق.م إلى ٥٦٠ق.م وبعده حكم صهره "نريجلاصر" لأربع سنوات من عام ٥٦٠ق.م حتى ٥٥٦ق.م ثم حكم الملك "مردوخ" لمدة شهرين عام ٥٥٦ق.م وحكم "نبونيدوس" من عام ٥٥٦ق.م إلى ٥٣٩ق.م وكان النبى دانيال شيخًا يهوديًا اعتمده الملك فى تفسير أحلامه وكان يغدق عليه الهدايا، وكان يفسر الحلم بكامل حقيقته حتى ما لم

يتمن سماعه.

وفى عهده كانت مدينة شوشان (فى إيران) هى العاصمة البابلية الشتوية، والتى كانت تسرى فيها قوانين حمورابى التى كانت أول قوانين معروفة فى تاريخ البشرية.

وقد كان غزو نبوخذنصر لبنى إسرائيل هو تأديب الله لهم لأنهم رفضوا أن يطيعوه رغم كل الكوارث التى مرت بهم وعصوا أمر خالقهم[٣٦].

ويعتبر نبوخذنصر ثانى ملوك السلالة الكلدانية التى حكمت بلاد بابل، وهو أشهر ملوك هذه السلالة، واشتهر بقوته العسكرية وبروعة عاصمته مدينة بابل، وبدوره المهم فى التاريخ اليهودى.

ونبوخذنصر هو أكبر أولاد نبوبولاصر وخليفته، ونبوبولاصر هو مؤسس الإمبراطورية الكلدانية.. تأتى معلوماتنا عنه من الكتابات المسمارية ومن الكتاب المقدس، والمصادر اليهودية المتأخرة كالتلمود والمشنا ةوالكتّاب الكلاسكيين، اسمه باللغة الأكدية "نابو ـ كودورى ـ أوصر" ومعناه "نابو يحرس وريثى".

وبالرغم من أن والده لم يدع أن له نسبًا ملكيًا، لكن نبوخذنصر ادعى أن "نرام ـ سين" الحاكم الأكدى الذى عاش فى الألفية الثالثة هو جده الأعلى، ولم تحدد سنة ميلاده بدقة.

ولكن من غير المرجح أن يكون قد ولد قبل سنة ٦٣٠ق.م إذ تقول إحدى الروايات إنه بدأ حياته العسكرية شابًا فى حوالى سنة ٦١٠ق.م حيث ظهر باعتباره مديرا عسكريا، وأول من ذكره هو والده والذى أشار إلى مشاركته فى أعمال ترميم معبد مردوك، الإله الرئيس لمدينة بابل، وفى سنة ٦٠٧/ ٦٠٦ق.م عندما كان نبوخذنصر وليا للعهد شارك والده فى قيادة جيش فى الجبال الواقعة فى شمال بلاد آشور وتولى بعد ذلك قيادة عمليات من أجل الاستقلال

[٣٦] انظر على الانترنت. http//ar.wikipedia.org.

وذلك بعد عودة نبوبولاصر إلى مدينة بابل.

وبعد هزيمة البابليين على أيدى المصريين فى سنة ٦٠٦/ ٦٠٥ق.م تولى قيادة الجيش بدلا من والده وتمكن بقيادته الفذة من تحطيم الجيش المصرى فى قرقميش وحماة.. مما أدى إلى إحكام سيطرته على سوريا كلها.

وبعد وفاة والده فى ١٦ آب ٦٠٥ق.م عاد نبوخذنصر إلى مدينة بابل وارتقى العرش خلال ثلاثة أسابيع.

وهذا التثبيت السريع لولايته وكونه تمكن من العودة إلى سوريا بسرعة يعكسان سيطرته القوية على الإمبراطورية.

وفى حملاته على سوريا وفلسطين ابتداء من حزيران إلى كانون الأول سنة ٦٠٤ق.م قدمت الدويلات المحلية ومن بينها مملكة يهوذا خضوعا لنبوخذنصر.

كما أنه احتل مدينة عسقلان وخلال السنوات الثلاث التالية شنّ نبوخذنصر المزيد من الحملات لتوسيع السيطرة البابلية على فلسطين، وكان فى جيوشه مرتزقة يونانيون . وفى آخر تلك الحملات (٦٠١ / ٦٠٠) اصطدم نبوخذنصر بجيش مصر، وكانت خسائره كبيرة، وأدت هذه الهزيمة إلى ارتداد دويلات معينة عن التبعية له، من بينها مملكة يهوذا كما أدت إلى انقطاع فى سلسلة الحملات السنوية خلال سنة ٥٩٩ / ٦٠٠ق.م ، حيث بقي نبوخذنصر فى بلاد بابل لتعويض خسائره فى العربات. واستؤنفت العمليات لاستعادة السيطرة فى نهاية سنة ٥٩٨ /٥٩٩ق.م (من كانون الأول حتى آذار).

وقد تجلت مقدرة نبوخذنصر على التخطيط الاستراتيجي بهجومه على القبائل العربية شمال غرب الجزيرة العربية، تمهيدًا لاحتلال مملكة يهوذا، ثم هاجم مملكة يهوذا بعد سنة واحتل القدس فى ١٦ آذار ٥٩٧ق.م ، ونفى الملك يهوياقين إلى مدينة بابل.

و بعد حملة أخرى قصيرة على سوريا فى ٥٩٥ق.م [٣٧].

---

[٣٧] انظر على الانترنت http//arabicwitness.freeservers.com

وكان على نبوخذنصر العمل فى شرق بلاد بابل لصد غزو، ربما كان من عيلام[٣٨] ويمكن الاستدلال على شدة الضغوط التى تعرضت لها بلاد بابل من حدوث تمرد فى أواخر ٥٩٣ق.م تورطت فيه عناصر من الجيش.

ولكن نبوخذنصر تمكن من القضاء على التمرد بقوة وتمكن من القيام بحملتين أخريين على سوريا خلال سنة ٥٩٣ق.م .

وثمة المزيد من النشاطات العسكرية التى قام بها نبوخذنصر، لم تذكرها الحوليات التاريخية التى وصلت إلينا بل ذكرتها مصادر أخرى، و خصوصًا الكتاب المقدس، الذى يذكر هجومًا آخر على القدس وحصارًا لمدينة صور (استمر١٣سنة، طبقا للمؤرخ اليهودي فلافيوس يوسفيوس) بالإضافة إلى تلميحات عن غزو مصر. انتهى حصار القدس باحتلالها فى سنة ٥٨٦ق.م وسنى مواطنيها البارزين، مع حدوث سبى آخر فى سنة ٥٨٢ق.م .

وفى هذا المجال اتبع نبوخذنصر الأساليب التى كان أسلافه الآشوريون قد اتبعوها من قبل.

كما اتبع نبوخذنصر وهو مدرك تماما لما يفعل سياسة توسعية، متأثرا بالتقاليد الإمبراطورية الآشورية.

مدعيا أنه مخول من الملكوت العالمي لمردوك، ومصليا من أجل أن لا يكون له معارض من أفق الأرض حتى السماء ـ كما أوضحنا فى الفصل السابق ـ وتذكر بعض الرُقُم المسمارية أنه حاول فى سنة ٥٦٧ق.م غزو مصر، الأمر الذى مثل ذروة سياسته التوسعية.

بالإضافة إلى كونه مخططا تكتيكيا واستراتيجيا بارعا اشتهر نبوخذنصر أيضا فى مجال السياسة الدولية.

كما يتبين ذلك من إرساله سفيرا (يرى بعض المؤرخين أنه نبونائيد أحد

---

[٣٨] عيلام: الواقعة حالياً جنوب غرب إيران.

خلفائه) للتوسط بين الميديين و الليديين فى آسيا الصغرى[٣٩].



نبوخذ نصر ـ ملك بابل

٤ ـ "نبوخذنصر والإله الذى كان يعبده":

يذكر التاريخ كما ذكرنا من قبل أن نبوخذنصر كان وثنيًا، وعندما ملك على بابل وأصبحت السلطة مطلقا فى يده أمر بإصلاح وتوسيع مكان المعابد التى كانت تعبد فيها الأصنام والتماثيل مثل الإله مردوك، والإله عشتار، والإله الشمس، والإله القمر.

وكان يسجد ويقدم القرابين لها، وكان يستنجد بها ويعترف بفضلها عليه.. وكان يعتقد بأن انتصاراته وقوته وجبروته من نتاج رضائها عنه، ولكن يخبرنا الكتاب المقدس ـ التوراة ـ والمراجع اليهودية بأنه اتجه لعبادة إله بنى إسرائيل الإله الحقيقى واعتنق عقيدة التوحيد.

وكان ذلك على مرحلتين:

الأولى.. عندما فسر النبى دانيال حلمه "حينئذ خر نبوخذنصر على وجهه وسجد لدانيال و أمر بأن يقدموا له تقدمة وروائح سرور. فأجاب الملك دانيال

[٣٩] أ. المرجع السابق.

وقال: حقا إن إلهكم إله الآلهة ورب الملوك و كاشف الأسرار إذ استطعت على كشف هذا السر حينئذ عظم الملك دانيال وأعطاه عطايا كثيرة وسلطه على كل ولاية بابل" (دا٢: ٤٦ - ٤٩).

ثم عصى الله وغواه الشيطان وأمر بصنع تمثالا من الذهب وأمر كل الشعوب التى تحت إمرته[٤٠] بالسجود لهذا التمثال.

الثانية.. عندما رفض ثلاثة فتية السجود لتمثال الذهب الذى صنعه نبوخذنصر وأمر بإحراقهم ولم يتأثروا بالحرق، فأيقن قدرة الله ورجع إلى عبادة الله.

"نبوخذنصر الملك صنع تمثالا من ذهب طوله ستون ذراعًا وعرضه ستة أذرع ونصبه فى بقعة دورا فى ولاية بابل، ثم أرسل نبوخذنصر الملك ليجمع المرازبة والشحن والولاة والقضاة والخزنة والفقهاء والمفتين وكل حكام الولايات ليأتوا لتدشين التمثال الذى نصبه نبوخذنصر الملك.

حينئذ اجتمع المرازبة والشحن والولاة والقضاة والخزنة والفقهاء والمفتون وكل حكام الولايات لتدشين التمثال الذى نصبه نبوخذنصر الملك ووقفوا أمام التمثال الذى نصبه نبوخذنصر.

ونادى مناد بشدة قد أُمرتم أيها الشعوب والأمم والألسنة عندما تسمعون صوت القرن والناى والعود والرباب والسنطير وكل أنواع العزف أن تخروا وتسجدوا لتمثال الذهب الذى نصبه نبوخذنصر الملك، و من لا يخر ويسجد ففى تلك الساعة يلقى فى وسط أتون نار متقدة، لأجل ذلك وقتما سمع كل الشعوب صوت القرن والناى والعود والرباب والسنطير وكل أنواع العزف خر كل الشعوب والأمم والألسنة وسجدوا لتمثال الذهب الذى نصبه نبوخذنصر الملك.

لأجل ذلك تقدم حينئذ رجال كلدانيون واشتكوا على اليهود أجابوا وقالوا

---

[٤٠] تذكر التوراة أن كل الشعوب كانت خاضعة له، وسنرى خطأ ذلك لاحقا.

للملك نبوخذنصر أيها الملك عش إلى الأبد، أنت أيها الملك قد أصدرت أمرا بأن كل إنسان يسمع صوت القرن والناى والعود.... يخر ويسجد لتمثال الذهب، ومن لا يخر ويسجد فإنه يلقى فى وسط أتون نار متقدة، يوجد رجال يهود الذين وكلتهم على أعمال ولاية بابل شدرخ ومشيخ وعبد نغو هؤلاء الرجال لم يجعلوا لك أيها الملك اعتبارا،آلهتك لا يعبدون ولتمثال الذهب الذى نصبت لا يسجدون.

حينئذ أمر نبوخذنصر بغضب وغيظ بإحضار شدرخ وميشخ وعبد نغو فأتوا بهؤلاء الرجال قدام الملك.

فأجاب نبوخذنصر وقال لهم تعمدًا يا شدرخ وميشخ وعبد نغو لا تعبدون آلهتى ولا تسجدون لتمثال الذهب الذى نصبت، فإن كنتم الآن مستعدين عندما تسمعون صوت القرن والناى... أن تخروا وتسجدوا للتمثال الذى عملته وإن لم تسجدوا ففى تلك الساعة تلقون فى وسط أتون النار المتقدة، ومن هو الإله الذى ينقذكم من يدى، فأجاب شدرخ وميشخ وعبد نغو وقالوا للملك:

يا نبوخذنصر لا يلزمنا أن نجيبك عن هذا الأمر،هوذا يوجد إلهنا الذى نعبده يستطيع أن ينجينا من أتون النار المتقدة وأن ينقذنا من يدك أيها الملك، وإلا فليكن معلومًا لك أيها الملك أننا لا نعبد آلهتك ولا نسجد لتمثال الذهب الذى نصبته.

حينئذ امتلأ نبوخذنصر غيظا... فأجاب وأمر بأن يحموا الأتون سبعة أضعاف أكثر مما كان معتادا أن يحمى، وأمر جبابرة القوة فى جيشه بأن يوثقوا شدرخ وميشخ وعبد نغو ويلقوهم فى أتون النار المتقدة.

ثم أوثق هؤلاء الرجال فى سراويلهم وأقمصتهم وأرديتهم ولباسهم وأُلقوا فى وسط أتون النار المتقدة، ومن حيث إن كلمة الملك شديدة والأتون قد حمى جدا قتل لهيب النار الرجال الذين رفعوا شدرخ وميشخ وعبد نغو.

وهؤلاء الثلاثة الرجال... سقطوا فى وسط أتون النار المتقدة، حينئذ تحير نبوخذنصر الملك وقام مسرعا فأجاب وقال لمشيريه ألم نلق ثلاثة رجال موثقين فى وسط النار... أجاب وقال ها أنا ناظر أربعة رجال محلولين يتمشون فى وسط النار وما بهم ضرر ومنظر الرابع شبيه بابن الآلهة.

ثم اقترب نبوخذنصر إلى باب أتون النار المتقدة وأجاب قائلا: يا شدرخ وميشخ وعبد نغو يا عبيد الله العلى اخرجوا وتعالوا فخرج شدرخ وميشخ وعبد نغو من وسط النار..

فأجاب نبوخذنصر وقال تبارك إله شدرخ وميشخ وعبد نغو الذى أرسل ملاكه وأنقذ عبيده الذين اتكلوا عليه وغيروا كلمة الملك وأسلموا أجسادهم لكيلا يعبدوا أو يسجدوا لإله غير آلهتهم. فمنى قد صدر أمر بأن كل شعب وأمة ولسان يتكلمون بالسوء على إله شدرخ وميشخ وعبد نغو فإنهم يصيرون إربًا إربًا وتُجعل بيوتهم مزبلة إذ ليس إله آخر يستطيع أن ينجى هكذا، حينئذ قدم الملك شدرخ وميشخ وعبد نغو فى ولاية بابل[٤١].

وفى الأصحاح الرابع نجده - نبوخذنصر - يرسل رسالة ملكية منه إلى كل الشعوب والأمم والألسنة ويخبرهم بأن الله - إله دانيال النبى - صنع معه آيات وعجائب وذكر أنه ذاغ قلبه ثم رأى حلم وفسره له دانيال النبى وآمن ثالثة بإله دانيال النبى.

كما سنرى تفصيل ذلك لاحقًا.

٥ - "سياسة نبوخذنصر فى الغزو والحكم":

ما هى سياسة نبوخذنصر فى غزواته وحكمه؟

---

[٤١] أ. دانيال ٣.

وهل كان دائما يستخدم القوة؟

أم كان يتبع السياسة أحيانًا كالمعاهدات وعقد هدنة؟

وإلى أى حد بلغ طموحه فى الاستيلاء على الممالك المجاورة له؟

وإلى أى مدى بلغت حدود مملكته؟ وما هى الشعوب التى خضعت له؟

وما هى الشعوب التى كانت لها أولوية عنده والتى كانت تشكل خطرًا على فكره الغازى؟

وبيان ذلك:

كان نبوخذنصر يستخدم القوة دائمًا حيث كان يعتقد البابليون أن الآلهة مع الأقوياء، ولأن سياسة الصلح وعقد المعاهدات لا يحقق له ما كان يرغب فيه فى الاستيلاء على الشعوب التى حوله.

لأنه لا يعقل أن يعقد أهل بلد ما معاهدة تتمثل فى تسليمهم أرضهم له والخضوع له، والعيش تحت نير حكمه إلا إذا كان ذا جيش قوى وعظيم ويبطش بأعدائه.

مرة واحدة عقد نبوخذنصر معاهدة هدنة مع فرعون مصر "نخو" وذلك ليس ضعفًا منه ـ نبوخذنصر ـ بل لحكمة أقوى من حربه مع "نخور" حيث كان عرشه فى بابل فى خطر، حيث كانت تحوم حوله الدسائس والمكائد وكان يخشى من أخيه الصغير خوفًا من أن يستولى على حقه فى وراثة عرش أبيه "نبوبولاصر" كما أوضحنا فى الفصل السابق.

ولأن نبوخذنصر كان يحلم بغزو العالم وهذا ما لم يتحقق أبدا سوى بالقوة والسيف.

وبعدما استقر الحكم له وانتهى من تأمين وحماية بابل ـ مملكته ـ أخذ يفكر فى أمرين:

الأول: الممالك التى حوله وكيف سيبسط هيمنته عليها؟ وما هو حجمها؟ وإلى أى مدى تبلغ قوتها؟ وقدرة كل منها على تحمل الحصار والحرب؟.

الثاني: هل ستصمد بابل؟ أم ستنهار وتسقط مثل الممالك السابقة له والتى بلغت من القوة والعظمة ما فاق قوة وسلطان نبوخذنصر ذاته؟.

وبيان ذلك:

أولا: أخذ يترقب الممالك من حوله حيث:

١ ـ مملكة يهوذا: فهى سهلة الغزو لأنها تسقط من داخلها وتضعف حينا بعد حين بسبب الصراع الداخلى بين ملوكها، علاوة على الفشل الأمنى الذى كان يسودها، حيث قطاع الطرق والعصابات الثائرة.

ويقول صاحب كتاب "نبوخذنصر وعظمة بابل" ما يلى:

كانت أورشليم سياسيا الأداة المجاملة والمهمة بمطامح المصريين الذين عرفوا دائما كيف يضمنون تحالفها بإرضاء ملوك يهوذا فى تحقيق جشعهم وطمعهم.

وقد عرف الآشوريون هذه الحقيقة جيدا لكنهم أخفقوا فى تعاملهم مع الإسرائليين لأنهم لم يدمروا كل مدنهم وكل هياكلهم ولا سبوا الشعب ونهبوا ثرواته كما فعل شلمنصر فى السامرة.

ففى هذه الحالة ماذا سيطلبون من إلههم يهوه الذى وعدهم بأن يضع شعبه المختار فى مقدمة شعوب العالم عندما لا يعود هذا الإله يسود إلا على الخراب والدمار؟.

فهذه القوة الروحية التى تستمدها الشعوب من الشريعة الإلهية ومن المثل الأعلى الموعودة به دائما ولم يتحقق إطلاقًا. لا يمكنها الصمود عند سقوط الشعائر المادية لهذا المثل الأعلى.

٢ ـ ثم تلى مدينة "صور" بعد "أورشليم".

هذه المدينة التى تمتلك ثروات شتى والتى بسببها تتمتع باقتصاد قوى، وكان يحكمه الفينيقيين.

ولم يستطع ملوك أشور، شلمنصر وسنحريب، التغلب عليها، بل تحالفوا مع ملوكها. فيستفيدون من ثرواتها وتنمو حركة التجارة بينهما، ومع ذلك فبعد سقوط "نينوى" قدم الملك "إيتو بعل" ملك صور خضوعه إلى بابل ليتقى السلب والنهب.

ويرى البعض أن الملك "إيتو بعل" كان حليف لفرعون مصر "نخو" وكان يملك أسطولا بحريا فخشى نبوخذنصر أن يتحالفا ويتحدا معًا ويحاصرا بابل وتضيق عليها الخناق.

٣ ـ شبه الجزيرة العربية: بإمكاناتها التى لا حد لها: حيث الموقع الجغرافى، فإذا امتلكها امتلك البحر الحمر والبحر المتوسط ونهر الفرات، ويضيق الخناق على فرعون مصر، ويبقى "نخو" أمام خيارين إما الخضوع والاستسلام وإما الهزيمة بالإضافة إلى غزوات مربحة على تلك الممالك العربية المتفرقة كلها، لكنها كلها رائعة كمملكة "دوما"، مملكة "نجد" المشهورة بمراعيها، والمملكة الأردنية حاليا، وأخيرا مملكة سبأ فى أقصى الجنوب.

ثانيا:

وكان يشغل بال نبوخذنصر دائمًا: هل ستسقط بابل كما سقطت الممالك التى سبقتها؟ مثل "نينوى" التى دمرها نبوخذنصر؟

وإن أصبح نبوخذنصر ملك العالم كله كأشوربينبال فهل ستسقط مملكته كما سقطت مملكة شوربنيبال، أو لم تسقط مملكة السومريون، ومملكة حمورابى ـ البابلية الأولى ـ مؤسس بابل العظيم.

وتغلب الكلدانيين على مدن "لاغاش"، "أوروك"، "أريدو"، "أور"، ألم يستطع الملك "سومو ـ أبوم" ملك بابل من جمع سومر وأكان تحت حكمه

وتغلب عليهما عام ٢٢٢٥ق.م .

وحمورابى الذى كان من أشهر ملوك دولة بابل الأولى والذى ملك من ٢١٢٣-٢٠٨٠ق.م[٤٢] أملى على العالم شرعته.

ولكن ألم يستطع "تغلاتفلاسّار" ملك آشور التغلب على كل بلاد الكلدانيين والتغلب على كل هذا.

كل هذا كان يقلق "نبوخذنصر" ولذلك قرر حماية بابل عن طريق امتلاك البحر بامتلاك أسطول كبير، هذا الذى كانت "نينوى" تفتقده هذا من ناحية ومن ناحية أخرى قرر أن يخفض مستوى مياه الخليج العربى حتى مستوى المرفأ الذى سيحفره فى حمى أسوار بابل، وكل أساطيل العالم ستقصده لترسو فى مياهه، وبذلك لا يبقى فى البحر والبر إلا سلطته هو فى بابل.

٦ - "غزو نبوخذنصر أرض العرب وأرض إسرائيل ويهوذا":

قلنا إن نبوخذنصر كان يفكر فى غزو شبه الجزيرة العربية وأرض يهوذا، حيث قام بغزو أرض يهوذا ثلاث مرات، وأرض العرب - شبه الجزيرة العربية - مرتين كانت الثانية ٥٨٧ق.م على بعض التقديرات.

---

[٤٢] وفى عام ١٢٧٠ق.م افتتح "تغلا تفلاسّار" ملك آشور كل بلاد الكلدانيين، ويرجع لنبوخذنصر الأول سنة ١١٥٠ق.م تجرأ على العصيان وسعى للاستقلال، وبعده فى العام ٧٢١ كان مارودخ بالادان بطل تلك الحقبة إذ بقى ٦٠ سنة الخصم العنيد لسنحريب الذى اغتصب عرش أجداده، وبعد موته أكمل النضال بخيارات مختلفة والده "نابوزير - كيفيشليشير" و"نا - إيد أ مردوك" وتعاون ابنه الصغير "نابوبيلزيكرى" تعاونا وثيقا ضد نينوى مع ملوك عيلام، لكنه انهزم وعوقبت بابل بقساوة، فقد عين أسرحدون - ملك آشور - نائبا للملك عليها هو شمش شو موكين فحكم المدينة بقوة وحاول أن يعلن استقلاله من بابل فحاصره "أسرحدون" فى عاصمته وأسره ونفذ فيه حكم الإعدام ونهب بابل، وذلك فى عام ٦٥٠ق.م ، بعد ذلك عين "أشوربينيبال" نائب ملك آشور "نبوبولاصر" والد نبوخذنصر حاكما على المدينة. (نبوخذنصر وعظمة بابل ص٣٠).

وبيان ذلك:

أولا: غزو أرض يهوذا:

تنبأ أرميا النبى ـ وفق معطيات الكتاب المقدس ـ أن الله سيعاقب بنى إسرائيل بسبب خطاياهم بالسبى إلى بابل مدة سبعين سنة.

"لذلك هكذا قال رب الجنود من أجل أنكم لم تسمعوا لكلامى، هأنذا أرسل فآخذ كل عشائر الشمال، يقول الرب وإلى نبوخذنصر عبدى ملك بابل وآتى بهم على هذه الأرض وعلى كل سكانها، وعلى كل هذه الشعوب حواليها فأحرمهم وأجعلهم دهشا وصفيرا وخرابا أبدية، وأبيد منهم صوت الطرب وصوت الفرح، صوت العريس وصوت العروس، صوت الأرحية ونور السراج وتصير كل هذه الأرض خرابا ودهشا، وتخدم هذه الشعوب ملك بابل سبعين سنة" (دا ٢٥: ٨ ـ ١١).

وجاء نبوخذنصر إلى أورشليم وحاصر أورشليم ثلاث مرات حتى دمرها وأحرق الهيكل"[٤٣]

١ ـ فى سنة ٦٠٥ق.م احتل المدينة وسمح للملك يهوياقيم أن يحكم باسمه وكتابع له وخاضع لسلطانه.

وأخذ بعض كنوز الهيكل وعددا من الفتية من بنى إسرائيل ومن نسل الملك الشرفاء وكان من ضمنهم دانيال النبى.

ويقول الكتاب المقدس عن هذه المرة "فى السنة الثالثة من ملك يهوياقيم ملك يهوذا ذهب نبوخذنصر ملك بابل إلى أورشليم وحاصرها وسلم الرب بيده يهوياقيم ملك يهوذا مع بعض آنية بيت الله فجاء بها إلى أرض شنعار إلى بيت إلهه، وأدخل الآنية إلى خزانة بيت إلهه وأمر الملك أشفنز رئيس خصيانه بأن يحضر من بنى إسرائيل ومن نسل الملك، ومن الشرفاء فتيانا لا عيب فيهم

[٤٣] أ. ك "إعجاز الوحى والنبوة فى سفر دانيال" للقس/ عبد المسيح بسيط ص٩.

حسان المنظر، حاذقين فى كل حكمة وعارفين معرفة، وذوى فهم بالعلم، والذين فيهم قوة على الوقوف فى قصر الملك فيعلموهم كتابة الكلدانيين ولسانهم وعين لهم الملك وظيفة كل يوم بيومه من أطايب الملك ومن خمر مشروبه لتربيتهم ثلاث سنين وعند نهايتها يقفون أمام الملك.

وكان بينهم من بنى يهوذا دانيال وحننيا وميشائيل وعزريا" (دا١ : ١ ـ ٦).

٢ ـ فى سنة ٥٩٧ق.م جاء نبوخذنصر ثانية وأخذ بقية أوانى الهيكل وكنوزه ونقلهم إلى بابل وأخذ الملك يهوياقيم و١٠,٠٠٠ أمير وضابط ورجل شرطة وجميع الذين أخذهم حزقيال الكاهن والنبى[٤٤].

ويقول الكتاب المقدس عن ذلك أيضًا " وجاء نبوخذناصّر ملك بابل على المدينة وكان عبيده يحاصرونها. فخرج يهوياكين ملك يهوذا الى ملك بابل هو وأمه وعبيده ورؤساؤه وخصيانه وأخذه ملك بابل فى السنة الثامنة من ملكه. وأخرج من هناك جميع خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وكسر كل آنية الذهب التى عملها سليمان ملك إسرائيل فى هيكل الرب كما تكلم الرب، وسبى كل أورشليم وكل الرؤساء وجميع الجبابرة.. عشرة آلاف مسبى وجميع الصنّاع والأقيان. لم يبق أحد إلا مساكين شعب الأرض" (٢مل ٢٤ : ١١ ـ ١٦).

٣ ـ وفى سنة ٥٨٦ق.م جاء للمرة الثالثة ليعاقب صدقيا الملك على تمرده عليه، فحاصر المدينة ثم كسر الأسوار، وتقول التوراة عن ذلك.

"وفى الشهر الخامس فى سابع الشهر وهى السنة التاسعة عشر للملك نبوخذنصر ملك بابل جاء نبوزرادان رئيس الشرط عبد ملك بابل على أورشليم وأحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم وكل بيوت العظماء وأحرقها بالنار وجميع أسوار أورشليم مستديرا هدمها كل جيوش الكلدانيين الذين مع رئيس الشرط، وبقية الشعب الذين بقوا فى المدينة والهاربون الذين هربوا إلى

---

[٤٤] أ. المرجع السابق. وسبب هذه المرة أن يهوياقيم تمرد على نبوخذنصر.

ملك بابل" (٢مل ٢٥ : ٨ ـ ١١).

ومنذ ذلك التاريخ لم تقم مدينة يهوذا ثانية ـ كحكم وسيادة .

ـ السبى البابلى وضياع التوراة.

ضاعت التوراة من بنى إسرائيل أكثر من مرة قبل السبى البابلى وبعده.

ففى حروبهم مع الفلسطينيين وفقدانهم تابوت العهد ـ حامل التوراة ـ ("١" صموئيل ٤ : ١١)، ("١" ملوك ٨ : ٩).

وأيضا عندما تعرضت أورشليم لغزو عام ٩٤٥ق.م من قبل شيشق ملك مصر، وكان هذا الغزو كفيلا بفقد كل ما فى الهيكل من نسخ التوراة ("١" ملوك ١٤ : ٢٥ـ ٢٦).

وغير ذلك عدة مرات عبر التاريخ الأسود لبنى إسرائيل، وهذا ليس موضوعنا الآن، وما يهمنا أنه فى عام ٦٨٦ق.م أثناء غزو نبوخذنصر لأورشليم فقدت التوراة وضاعت.

يقول "كليمنى اسكندريانوس" "إن الكتب السماوية ضاعت فألم عزرا ـ بعد سبعين سنة من ضياعها ـ أن يكتبها مرة أخرى".

وأيضا يقول "تهيوفلكت" "إن الكتب المقدسة انعدمت رأسا فأوجدها عزرا مرة أخرى بالإلهام[٤٥]".

واعتمد عزرا بعد الرجوع من السبى البابلى عندما سقطت دولة على يد كورش ملك فارس، وسمح لبنى إسرائيل بالعودة إلى أوطانهم وإعادة كتابة التوراة وأسند هذه المهمة "عزرا الكاهن".

---

[٤٥] أ. ك "هل العهد القديم كلمة الله" ص٥٣.

واعتمد عزرا على عدة مصادر فى إعادة كتابة التوراة وهى أربعة مصادر[46].

١ ـ المصدر "اليهودى" وكتب نصه فيما بين القرن العاشر والثامن ق.م ويرجع البعض أنه كتب فى التاسع قبل الميلاد، وكانت كتابته فى مملكة يهوذا الجنوبية.

ولغة هذا النص قديمة فجة تتحدث عن الله بصورة بشرية، ويتحدث هذا النص عن بدء الخلق، ويمتد إلى موت يعقوب. ويتجلى فيه وعد الله لإسرائيل بأرض كنعان.

ويطغى هذا النص فى سفر التكوين، ويشترك مع الثانى والرابع فى سفرى الخروج والعدد، وهذا المصدر يطلق على الله اسم "يهوه"[47].

٢ ـ المصدر الثانى: الألوهيمى:

ويرجح المتخصصون أن هذا المصدر متأخر كتابة عن الأول، إذ يرجع للقرن الثامن أو السابع ق.م ، وكتب هذا النص عن الإله وجنبه النشاطات البشرية.

ويركز هذا المصدر على الأحداث الخاصة بإبراهيم ويعقوب ويوسف، وهذا المصدر موجود فى ثلاثة أسفار (تكوين، خروج، عدد). ويسمى هذا المصدر إله بنى إسرائيل بـ "ألوهيم" مثل "فى البدء خلق الله السماوات والأرض" وأصل النص "فى البدء ـ خلق ـ ألوهيم ـ السماوات والأرض".

٣ ـ المصدر الثالث" سف التثنية:

ويرى العلماء أن هذا المصدر فى سفر التثنية فقط[48]. وبه سمي ويعود تاريخ متابته للقرن الثامن ق.م ويتميز هذا المصدر بالدعوة إلى التمسك ةاتباع الشريعة

---

[46] أ. المدخل للكتاب المقدس. "مدخل الكاثوليك".

[47] مثل "ال الرب اجلس عن يمينى حتى أضع أعدائك موطن لقدميك" وأصل النص "قال ـ يهوه لأدوناى ـ اجلس عن يمينى....".

[48] أ. "هل العهد القديم كلمة الله" د. السقا ص٥٧.

وهو عبارة عن تشريعات، وقد خضع هذا المصدر لاصطلاحات متأخرة جدا يمكن الوقوف عليها بمقارنة السفر مع بقية الأسفار الأربعة من توراة موسى.

٤ ـ المصدر الرابع : الكهنوتي :

وتعود كتابته إلى القرن السادس قبل الميلاد، وهو من عمل بعض الأحبار، وموضوعه ذكر الشرائع والتعاليم الطقسية وكيفية تطبيقها[٤٩]. ولهذا المصدر دور كبير في سفري اللاوين والعدد، ولذلك بعض ترجمات الكتاب المقدس تسمى سفر "اللاوين" بـ "الأحبار" كترجمة الآباء اليسوعيين.

---

[٤٩] أ. المرجع السابق ص٥٧.

الفصل الرابع

رؤى نبوخذنصر وتفسيرها

حدث أثناء السبى البابلى أن نبوخذنصر رأى عدة رؤى، منهم رؤية طلب بتفسيرها من كهنته ولم يعرفوا ولكن النبى دانيال الذى كان أحد أفراد السبى البابلى فسرها له حرفيًا، وتتعلق هذه الرؤية بأربعة إمبراطوريات كان هو - نبوخذنصر - أولها حيث الإمبراطورية البابلية وتنتهى بالإمبراطورية الرومانية، وهذا هو موضوع أصحاح (٢) من سفر دانيال.

وتعود الرؤية فى أصحاح (٧) عن هذه الإمبراطوريات ولكن بشكل آخر ولكن الذى رآها هنا هو دانيال النبى نفسه فى السنة الأولى لبيلشاصر ملك بابل تأكيدا على حدوث هذه الأحداث وتعاقبت الإمبراطوريات الأربع.

وروى نبوخذنصر رؤية أخرى تتعلق بهويته كحاكم وكملك وتنبئ له بتأديب الله له.

ولكن لماذا نعطى هذه الرؤى هذا القدر من الأهمية؟

ولماذا أكد الله هذه الرؤية - تعقب الممالك الأربع - مرتان هذا ما سوف نبحثه فى هذه الحلقة وسوف نوضح أيضا المغزى والدلالة التى تحملها هذا الرؤى عن الملك المسيًا ومن هو؟

١ - "رؤية نبوخذنصر عن الممالك الأربع":

"وفى السنة الثانية من ملك نبوخذنصر حلم نبوخذنصر أحلاما فانزعجت روحه وطار عنه نومه. فأمر الملك بأن يستدعى المجوس والسحرة والعرافون والكلدانيون ليخبروا الملك بأحلامه فأتوا ووقفوا أمام الملك فقال لهم الملك قد حلمت حلما، وانزعجت روحى لمعرفة الحلم، فكلم الكلدانيون الملك بالآرامية

عش أيها الملك إلى الأبد. أخبر عبيدك بالحلم فنبين تعبيره. فأجاب الملك وقال للكلدانيين قد خرج منى القول إن لم تنبئونى بالحلم وبتعبيره تصيرون إربا إربا وتجعل بيوتكم مزبلة. وإن بينتم الحلم وتعبيره تنالون من قبلى هدايا وحلاوين وإكراما عظيما، فبينوا لى الحلم وتعبيره، فأجابوا ثانية وقالوا ليخبر الملك عبيده بالحلم فنبين تعبيره. أجاب الملك وقال إنى أعلم يقينا أنكم تكتسبون وقتا إذ رأيتم أن القول قد خرج منى بأنه إن لم تنبئونى بالحلم فقضاؤكم واحد لأنكم قد اتفقتم على كلام كذب وفاسد لتتكلموا به قدامى إلى أن يتحول الوقت. فأخبرونى بالحلم فأعلم أنكم تبينون لى تعبيره. أجاب الكلدانيون قدام الملك وقالوا ليس على الأرض يستطيع أن يبين أمر الملك. لذلك ليس ملك عظيم دو سلطان سأل أمرا مثل هذا من مجوسى أو ساحر أو كلدانى. والأمر الذى يطلبه الملك عسر وليس آخر يبينه قدام الملك غير الآلهة الذين ليست سكناهم مع البشر. لأجل ذلك غضب الملك واغتاظ جدا وأمر بإبادة كل حكماء بابل فخرج الأمر وكان الحكماء يقتلون فطلبوا دانيال وأصحابه ليقتلوهم. حينئذ أجاب دانيال بحكمة وعقل لأريوخ رئيس شرط الملك الذى خرج ليقتل حكماء بابل. أجاب وقال لأريوخ قائد الملك: لماذا اشتد الأمر من قبل الملك؟ حينئذ أخبر أريوخ دانيال بالأمر فدخل دانيال وطلب من الملك أن يعطيه وقتا فيبين للملك التعبير، حينئذ مضى دانيال إلى بيته وأعلم حننيا وميشائيل وعزريا أصحابه بالأمر ليطلبوا المراحم من قبل إله السماوات من جهة هذا السر لكى لا يهلك دانيال وأصحابه مع سائر حكماء بابل. حينئذ لدانيال كشف السر فى رؤيا الليل. فبارك دانيال إله السماوات أجاب دانيال وقال ليكن اسم الله مباركًا من الأزل وإلى الأبد. لأن له الحكمة والجبروت. وهو يغير الأوقات والأزمنة يعزل ملوكا وينصب ملوكًا يعطى الحكماء حكمة ويعلم العارفين فهما هو يكشف العمائق والأسرار. يعلم ما هو فى الظلمة وعنده يسكن النور إياك يا إله آبائى أحمد وأسبح الذى أعطانى الحكمة والقوة وأعلمنى الآن ما طلبناه منك لأنك

أعلمتنا أمر الملك فمن أجل ذلك دخل دانيال إلى أريوخ الذى عينه الملك لإبادة حكماء بابل مضى وقال له هكذا لا تبد حكماء بابل أدخلنى إلى قدام الملك فأبين للملك التعبير حينئذ دخل أريوخ بدانيال إلى قدام الملك مسرعا وقال له هكذا قد وجدت رجلا من بنى سبى يهوذا الذى يعرف الملك بالتعبير أجاب الملك وقال لدانيال الذى اسمه بلطاشر هل تستطيع أنت على أن تعرفنى بالحلم الذى رأيت وبتعبيره. أجاب دانيال قدام الملك وقال السر الذى طلبه الملك لا تقدر الحكماء ولا السحرة ولا المنجمون على أن يبينوه للملك .

لكن يوجد إله فى السماوات كاشف الأسرار وقد عرف الملك نبوخذنصر ما يكون فى الأيام الأخيرة حلمك ورؤيا رأسك على فراشك هو هذا أنت يا أيها الملك أفكارك على فراشك صعدت إلى ما يكون من بعد هذا وكاشف الأسرار يعرفك بما يكون أما أنا فلم يكشف لى هذا السر لحكمة فى أكثر من كل الأحياء ولكن لكى يعرف الملك بالتعبير ولكى تعلم أفكار قلبك أنت أيها الملك كنت تنظر وإذا بتمثال عظيم هذا التمثال العظيم البهى جدا وقف قبالتك ومنظره هائل رأس هذا التمثال من ذهب جيد صدره وذراعاه من فضة بطنه وفخذاه من نحاس ساقاه من حديد قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف كنت تنظر إلى أن قطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معا وصارت كعصافة البيدر فى الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان أما الحجر الذى ضرب التمثال فصارجبلا كبيرا وملأ الأرض كلها.

هذا هو الحلم فنخبر بتعبيره قدام الملك.

أنت أيها الملك ملك ملوك لأن إله السماوات أعطاك مملكة واقتدارا وسلطانا وفخرا .

وحيثما يسكن بنو البشر ووحوش البر وطيور السماء دفعها ليدك وسلطك عليها جميعها فأنت هذا الرأس من ذهب وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك.

ومملكة ثالثة أخرى من نحاس فتتسلط على كل الأرض وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد. لأن الحديد يدق ويسحق كل شيء. وكالحديد الذى يكسر تسحق وتكسر كل هؤلاء.

وبما رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف والبعض من حديد. فالمملكة تكون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد من حيث إنك من حديد مختلطًا بخزف الطين. وأصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف. فبعض المملكة يكون قويا والبعض قصمًا ـ ضعيف ـ وبما رأيت الحديد مختلطا بخزف الطين. فإنهم يختلطوا بنسل الناس ولكن لا يتلاصق هذا بذاك. كما أن الحديد لا يختلط بالخزف وفى أيام هؤلاء الملوك. يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبدا. وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهى تثبت إلى الأبد لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب الله العظيم قد عرف الملك ما سيأتى بعد هذا.الحلم حق وتعبيره يقين". (دا٢ : ١ـ ٤٥).

وبعد ما ذكرنا نص الرؤية التى رآها نبوخذنصر كاملا من سفر دانيال (٢) ـ لمن لا يملك نسخة من الكتاب المقدس ـ ولأن الكتاب المقدس يعتبر هنا كالمرجع التاريخى الوحيد لهذه الرؤية المهمة فى تعاقب الممالك التى أثرت وشكلت تاريخ البشرية ـ فكان لابد أن نذكر مادة هذا المرجع كاملا.

وللدلالة الدينية المهمة التى تحويها هذه النبوءة كما سنوضح فذكرنا النص كاملا، لكى لا يتهمنا أحد بأننا نحرف ونبتر من الكتاب المقدس عند استشهادنا منه، كما قال واتهمنا القس عبد المسيح بسيط فى سلسلة الدفاع اللاهوتى وبعد أن ذكرنا النص بقى توضيح معالمه ومدلولاتها بتتبع سياق الأحداث التاريخية.

وبيان ذلك:

أولا: فك رموز الرؤية: رأى نبوخذنصر تمثالا عظيما مصنوع من أربعة معادن

أساسية لكل معدن مدلول معين يدل على مدى القوة والعظمة والامتداد وهى (الذهب والفضة والنحاس والحديد).

ثم رأى حجرا قضي وسحق وكسر هذا التمثال، وصار جبلا عظيما.

وأوضح دانيال عن طريق الوحى الإلهى أن هذا التمثال يرمز لأربع ممالك كبرى ستقوم على الأرض بالتتابع إلى أن تأتى مملكة خامسة لا تفنى وستدوم إلى الأبد.

وهذه الإمبراطوريات هى:

١ ـ الإمبراطورية الأولى "الرأس من ذهب" (٦٢٦ـ ٥٣٩ق.م).

وهى مملكة بابل الثانية والتى كانت فى عظمتها وقوتها فى عصر نبوخذنصر، ووصفه دانيال بـ "الرأس من ذهب" لأنه هو الذى أسس الإمبراطورية البابلية ولأن الإمبراطورية البابلية اشتهرت بالذهب. ويقول المؤرخ اليونانى هيرودوتس ٤٥٠ق.م إنه لم ير ذهبا فى الأرض بمثل هذه الكثرة والوفرة التى رآها فى بابل خاصة فى معابدها وهياكلها ومذابحها[٥٠].

وكانت عبارة "ملك الملوك" هى لقب مستخدم لكثير من حكام الشرق فقد كشفت النقوش المسمارية الاسفينية أنه كان لقبا عاما "بين الفرس وبين أثيوبى ابيسينا الحديثة وبين البابليين[٥١]".

٢ ـ الإمبراطورية الثانية: "الصدر والذراعان من فضة" مادى وفارس (٥٣٩ ـ ٣٣١ق.م)[٥٢].

وهى المملكة الفارسية نظرا لسيادة الفرس، وتبدأ من الحاكم الفارسى كورش حيث:

---

[٥٠] أ. WA. Cris well vol. ٢p. ٦٢

[٥١] Lange,s Dan. P. ٧٦

[٥٢] اعجاز الوحى والنبوة فى سفر دانيال ص ٧٨

أ ـ مادى (ميديا)، كان شعب ميديا يتكلم لغة إيرانية، وقد عاشوا فى القطر الجبلى إلى الجنوب الغربى من بحر الكسبيان Caspian ويذكر اسمهم فى النقوش المسمارية (الاسفينية) من زمن الملك شلمناصر الثالث (٨٥٨ ـ ٨٢٤ق.م) ويروى هيرودوتس فى تاريخه عن أربعة من ملوكهم فيما بين ٦٦٩و٥٥٠ق.م، وقد هزم الرابع منهم (استاجس) سنة ٥٥٠ق.م من أحد تابعيه وهو كورش الفارسى الذى أصبح سنة ٥٣٩ق.م ملكًا على المملكة المتحدة.

ب ـ فارس (٥٣٩ ـ ٣٣١ق.م)

١ ـ أسس كورش العظيم الإمبراطورية الفارسية سنة ٥٥٩ق.م.

٢ ـ وفى سنة ٥٤٦ق.م هزم الملك كرويس ملك ليديا، وكان هذا الرجل يملك ثروة خيالية.

٣ ـ وفى سنة ٥٣٩ق.م استولى على مدينة بابل وأعدم بيلشاصر.

٤ ـ وقد سمح الملك كورش لليهود بالعودة إلى أورشليم ٥٣٨ق.م ومات سنة ٥٢٩ق.م وخلفه ابنه قمبيز الثانى (٥٢٩ ـ ٥٢٢ق.م) والذى غزا مصر ثم انتحر بعد ذلك، وبدأت حرب أهلية فى البلاد، وخلفه سميردس مدة قصيرة جدا ٥٢٢ق.م.

٥ ـ وجاء قمبيز الثانى داريوس العظيم (٥٢٢ ـ ٤٨٦ق.م) وأنقذ الإمبراطورية المنهارة وذلك باستعادة القانون والنظام، وهزمه الإغريق فى معركة ماراثون العظيمة سنة ٤٩٠ق.م.

٦ ـ ثم حكم الإمبراطورية أحشويرش الأول (٤٨٦ ـ ٤٦٤ق.م) ابن داريوس وقد هزمه الإغريق مثل أبيه فى معركة سلاميس ٤٨٠ق.م.

٧ ـ وحكم أرتحشتا الأول (٤٦٤ ـ ٤٢٣ق.م) وأثناء حكمه كان نحميا خادما القصر.

٨ ـ وانتهت الإمبراطورية الفارسية على يد الإسكندر الأكبر أثناء الحكم

القصير للملك داريوس الثالث (٣٣٥ - ٣٣١ق.م[٥٣]).

٣ ـ الإمبراطورية الثالثة: البطن والفخدان من نحاس: اليونان ٣٣١ ـ ٣٢٣ق.م.

وهذه المملكة الثالثة والتى أتت بعد الإمبراطورية الفارسية هى الإمبراطورية اليونانية على يد الإسكندر الأكبر وسميت بالمملكة النحاسية لأن جنودها وصفوا بـ "ذوات الكساء النحاسى"[٥٤] وسادت هذا الإمبراطورية جزءا كبيرا من دول أوربا، إلى جانب الدول التى كانت تحت السيادة الفارسية فى آسيا وأفريقيا، كما سادت على مناطق كثيرة فى الشرق وامتدت هذه المملكة من الهند إلى الخليج العربى (الفارسى) إلى غرب أوربا.

وأهم الأحداث التى حدثت فى هذه الحقبة:

١ ـ كانت الولايات اليونانية مهددة دائما بالغزو الفارسى منذ ٥٤٦ إلى ٤٧٩ق.م واستطاعت المملكة اليونانية هزيمة الغزو الفارسى والقضاء عليه فى معركتى سلاميس وبلاتويا Platoea، وبعد ذالك علا شأن اليونان.

٢ ـ ثم قاد اليونان بركلس Perkles وهو رجل أثينى (٤٦١ ـ ٤٢٩) وبعده صار عددا من الملوك الإغريق وهم:

أ ـ هيرودوتس (٤٨٥ ـ ٤٢٥ق.م).

ب ـ هيبوقراط (٤٦٠ ـ ٤٧٠ق.م).

جـ ـ سقراط، أفلاطون، أرسطو (٤٦٩ ـ ٣٩٩ق.م)، (٤٢٧ـ ٣٤٧)، (٣٨٤ ـ ٣٢٢ق.م) على التوالى.

د ـ ديموثينس (٣٨٤ ـ ٣٢٢ق.م).

---

[٥٣] أ. إعجاز الوحى والنبوة فى سفر دانيال ص٨١ ـ ٨٢. للقمص. عبد المسيح، .Tnterp Bivol.٥:٣٨٨,Herodotust: ٩٦

[٥٤] Dan ١٧٨

٣ ـ ثم بدأت حرب البلوبونيز من (٤٥٩إلى ٤٠٤ق.م) بين أهم مدن اليونان أثينا وإسبرطة.

٤ ـ وفى سنة ٣٣٨ق.م غزا فيليب المقدونى (٣٨٠ ـ ٣٣٦ق.م) اليونان ثم اغتيل بعد ذلك بسنتين سنة ٣٣٦ق.م وخلفه ابنه إسكندر المقدونى والإسكندر الأكبر (٣٥٦ ـ ٣٢٣ق.م) والذى صار من أشهر وأعظم قواد العالم وغزاته، وكان فى ذلك الوقت فى العشرين من عمره وبدأ بغزو الفرس.

٥ ـ وفى سنة ٣٣٤ق.م عبر من آسيا الصغرى إلى الشرق وهزم الفرس فى معركة جراينكوس سنة ٣٣٤ق.م ثم فى إسيوس ٣٣٣ق.م ودمر صور واستثنى أورشليم، ورحب به المصريون فى مصر وأسس مدينة الإسكندرية وسحب الفرس إلى الأبد فى معركة أربيلا ٣٣١ق.م، وغزا الهند ٣٢٧ق.م ثم وضع خططا لإعادة بناء بابل وإرجاعها لمجدها، ولكنه مات ٣٢٣ق.م وعمره ٣٢سنة.

٦ ـ بعد وفاة إسكندر انقسمت مملكته إلى أربعة أقسام.

أ ـ بطليموس وقد حكم مصر وجاءت من سلالته كليوباترا.

ب ـ سلوقس الذى حكم سوريا وجاء من سلالته أنتوخس الرابع، ابيفانس.

جـ ـ كاسندر الذى حكم اليونان ومقدونيا.

د ـ لسيماخوس وقد حكم آسيا الصغرى°°.

٤– الإمبراطورية الرابعة: الساقان من حديد (روما ٥٨ ق.م–٤٧٦ م)

ثم تعقب هذه الممالك الثلاث مملكة رابعة قوية. وتم التعبير عنها بالمملكة الحديدية

نظرا لشدة قوتها. فهى أقوى ممن سبقها ولأن الحديد يدق ويسحق كل شيء وكما يشير إلى السيادة والتسلط.

°° إعجاز الوحى والنبوة فى سفر دانيال ص٨٣ ـ ٨٤.

وقد سحقت هذه الإمبراطورية كل الأمم التى كانت ما تزال محتفظة بعناصر السلالات الآشورية البالية والمادية والفارسية واليونانية السابقة لها من خلال غزواتها الكثيفة فى أوربا وآسيا وأفريقيا.

وكانت الإمبراطورية الرومانية اكثر استمرارية من الممالك التى سبقتها حيث

أ - استقرت الإمبراطورية البابلية ٧٠ سنة.

ب - استقرت الإمبراطورية الفارسية ٢٠٠ سنة

جـ - استقرت الإمبراطورية اليونانية ١٣٠ سنة

د - استقرت الإمبراطورية الرومانية ٥٠٠ سنة. كإمبراطورية موحدة وغير منقسمة. ثم بعد ذلك انقسمت إلى جزئين أحدهما قوى والآخر ضعيف.

وأهم الأحداث التاريخية التى حدثت فى ومن خلال هذه الإمبراطورية:

١- فى سنة ٣٣٨ ق.م سيطرت روما مركزيا على إيطاليا ثم جاءت الحروب البونية التاريخية بين روما وقرطاج (٢٦٤-٢٤١ ق.م)، (٢١٨-٢٠٢ ق.م) ودمرت قرطاج سنة ١٤٦ ق.م وفى هذه الحروب ظهرهانيبال الذى أرعب الرومان عند سير قطيع من الفيلة عبر جبال الألب ٢١٨ ق.م. وهزم جيشان كبيران للرومان ٢١٦ ق.م. ثم هزمه القائد الرومانى سيبيو فى زاما ٢٠٢ق.م. ومن ذلك التاريخ صارت روما سيدة البحر المتوسط. وكانت الحرب الثالثة. بينهما من سنة (١٤٩- ١٤٦ق.م) والتى استولى فيها الرومان على مدينة قرطاج وأحرقوها.

٢- وفى سنة ٦٣ ق.م غزا القائد الرومانى بومبى فلسطين. ثم تلا ذلك حروب مدنية. ثم جاء يوليوس قيصر وأنقذ الإمبراطورية وأدمجها فى حروب الغال الشهيرة(٥٨- ٥١ ق.م) ثم اغتيل يوليوس قيصر فى روما٤٤ ق.م.

٣- وتولى السلطة إوكتافيوس (أغسطس قيصر). وهزم بروتس وكاسيوس من قتله قيصر. فى فيلبى ٤٢ ق.م. وفى سنة ٣١ ق.م هزم إوكتافيوس قوات

أنطونيوس وكليوباترا فى أكتيوم. ومن ذلك التاريخ صارت مصر مقاطعة رومانية. ووصلت الإمبراطورية الرومانية مبلغ مجدها فى أيام أوكتافيوس، أغسطس قيصر(٣١ ق.م-١٤م).

٤- خلف أوكتافيوس طيباريوس قيصر(١٤-٣٧ م) كانت قد دانت له الولايات من سنة ١١ م وكان فى أيامه يوحنا المعمدان- يحيى بن زكريا- والمسيح عليهم السلام.

٥- وخلف طيباريوس كالجولا (٣٧-٤١م) والذى عاصر الجزء الأول من انتشار المسيحية فى ربوع الإمبراطورية ثم قتل سنة ٤١ م وخلفه من كلوديوس الذى قتل مسموما٥٤م.

٦- نيرون (٥٤- ٦٨ م) والذى حكم حكما عاديا لمدة ٨ سنوات ثم تحول بعدها إلى مجنون. وأحرق مدينة روما.ونسب هذا الحريق للمسيحيين لكى يبرر قتله لهم ومات منتحرا ٦٨ م.

٧- ثم القائد فسبسيان(٦٨-٧٩ م) والذى أمر ابنه تيطس بتدمير أورشليم وحرقها٧٠ م، وبعد وفاة فسبسيان انفرد تيطس بالعرش (٧٩-٨١ م).

٨- وكان لدى الأباطرة الرومان العشرة: الذين جاءوا بعد صعود المسيح عليه السلام. حتى دقلديانوس.اضطهاد المسيحيون وقتلهم.

٩- وفى سنة ٢٨٤ م جاء دقلديانوس آخر الأباطرة الذين اضطهدوا المسيحية وفى عصره وبه انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى شرقية وغربية. وعين مكسيمان ليحكم الجزء الشرقى.

١٠ ـ بعد موت دقلديانوس تنازع قسطنتين ومكسيمان على العرش وانتصر قسطنتين ٣١٣ م وأصدر مرسوم التسامح الدينى الذى بمقتضاه صارت المسيحية الديانة الرسمية للدولة.[٥٦]

---

[٥٦] أ. المرجع السابق. ص٨٧- ٨٨.

١ - "المملكة الخامسة والحجر الذى صار جبلا:"

تذكر النبوءة أنه بعد تعاقب الأربع ممالك الكبرى. تأتى مملكة خامسة تكسروتكتسح كل الممالك التى سبقتها. والرؤيا فى الأصل لا تتكلم عن أربع ممالك متعاصرة وموجودة معا فى وقت واحد وإنما عن أربع إمبراطوريات متتابعة، تأتى كل واحدة منها بعد الأخرى كما أن الرؤيا أيضا لا تتكلم عن ملوك أفراد بعينهم وإنما عن إمبراطوريات متدرجة من الرأس إلى القدمين. وكانت الواحدة منها تتحول إلى ولاية تابعة للإمبراطورية الجديدة المنتصرة.

فما هى هذه الملكة الخامسة؟ وفيما تمثلت؟ وما دلالتها الحرفية؟

يجب أولا أن نذكر علامات تلك المملكة ومن خلال السياق التاريخى المذكور فى النبوءة ومواصفاتها من حيث مدى استمراريتها؟ ومن هو مؤسسها؟ ومدى انتشارها؟ وصفات أتباعها.

وبيان ذلك:

١- الممالك الأربع التى سبقتها ممالك أرضية دنيوية. كل منها كانت تدعى أنها مؤيدة من قوة الآلهة السماوية. كل حسب اعتقادها.

كما أن كلا منها — الممالك الأربع- كانت تسيطر على ربوع كثيرة من العالم.

٢- تذكر الرؤيا أن المملكة الخامسة ستكسر وتكتسح الممالك السابقة لها وهذا لا يتحقق إلا إذا كانت هذه المملكة أرضية. دنيوية.

وتذكر النبوءة أيضا أن هذه المملكة مؤيدة من الله. إله السماء والأرض وهو مؤسسها أيضا.

٣- إذا هى مملكة دنيوية. أرضيه تنظم شئونها من خلال دستور إلهى، أى تكون مملكة أرضية وروحية معا فى ذات الوقت وقوتها الأرضية مستمدة من التعاليم الروحية السماوية.

٤ - تذكر النبوة أنها تأتى بعد الإمبراطورية الرابعة. الإمبراطورية الرومانية؟

ولكن فى أى وقت تأتى هذه المملكة الخامسة؟

تذكر النبوءة أنها تأتى فى أيام ملوك الدولة الرومانية. ولكن بعد انقسامها- الرومانية- إلى قسمين. قسم ضعيف وقسم قوى. وهما القسم الشرقى والقسم الغربى. ولم تنقسم الإمبراطورية الرومانية إلى قوى وضعيف إلا بعد ٢٤٨م فى أيام دقلديانوس آخر الأباطرة الذين اضطهدوا المسيحية. كما أوضحنا من قبل.

إذا المملكة الخامسة تأتى بعد المسيحية بعد ٢٤٨م وليس قبل ذلك. بدليل قول دانيال "وأصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف فبعض المملكة يكون قويا والبعض قصما - ضعيفا - .... وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبدا وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهى تثبت إلى الأبد".

٥ ـ تقول النبوءة بأن حجرا قطع بدون يدين سيسحق كل الممالك السابقة. وهذا الوصف "الحجر" إنما هو عائد على المملكة الخامسة. لا على مؤسسها "لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب".

وقبل ذلك قال "يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبدا.... وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهى تثبت إلى الأبد" بالمقارنة مع:

"قطع حجر من جبل لا بيدين فسحق الحديد والنحاس والخزف...". "والحديد والنحاس والخزف والفضة" رمز للممالك الأربع السابقة.

إذا المملكة الخامسة هى هذا الحجر الذى قطع بغير يدين. لا مؤسسها. ومعنى ذلك أن المملكة الخامسة كانت موجودة من قبل ولكنها كانت لا قيمة حضارية ولا ثقافية تذكر لها. ولكنها فى أيام ملوك الإمبراطورية الرومانية المنقسمة يقيمها الله ويؤيدها بتعاليم روحية. فتقوى وتعلو وتكتسح كل الممالك وتصير جبلا عظيما رمزا لقوة الجبل.

وتنتشر فى جميع العالم.

هذه هى الدلالات التى تحملها الرؤيا والتى من خلالها نستطيع أن نحدد ما هى المملكة الخامسة– الحجر– وما صفاتها؟.

٣. " قول اللاهوتيين النصارى فى المملكة الخامسة ".

يعتقد علماء اللاهوت المسيحى أن هذه الرؤيا إنما هى خاصة بملكوت المسيح عيسى عليه السلام. والمملكة الخامسة هى مملكة المسيحيين. مملكة القديسين ويقولون بأنها مملكة روحية وليست أرضية. وانتشرت فى ومن خلال الإمبراطورية الرومانية، ويعتقدون أيضا بأن الحجر الذى قطع بغير يدين هو المسيح عيسى عليه السلام نظرا لأنه ولد بغير أب.

ويبدو كلامهم للوهلة الأولى قريبا إلى المنطق ولكن يظهر بطلانه عند دراسة النبوءة من خلال السياق التاريخى والمقارنة بين الصفات التى خلعتها النبوءة على المملكة الخامسة، وبين مضمون وجوهر وأقوال المسيح عليه السلام وجوهر رسالته[٥٧].

وبيان ذلك:

قال القس عبد المسيح بسيط "قال دانيال النبى فى إعلانه لما جاء برؤياه وحلم نبوخذنصر...، "فى أيام هؤلاء الملوك" يشير إلى الإمبراطورية الرابعة. الإمبراطورية الرومانية... ويؤكد الوحى فى الكتاب المقدس أن المسيح هو هذا الحجر الذى قطع بغير يدين" وسحق كل هذه الممالك وملأ ملكوته الأرض كلها. فقد وصف فى نبوات داود بحجر الزاوية (مز١١٨ : ٢٢) وقد

---

[٥٧] وقد ناقشنا ذلك الموضوع تفصيلا من الناحية التنبؤية فى كتابنا "الإسلام يتحدى جـ ١" والرد على القس عبد المسيح بسيط.

أشار السيد المسيح إلى نفسه بآية داود النبى وأكد أنه هو الحجر الذى يسحق كل من يسقط عليه "كل من يسقط على ذلك الحجر يترضض ومن يسقط عليه هو يسحقه" (لو ٢٠: ١٨).

وأشار القديس بطرس أيضا إلى ذلك الحجر- السيد المسيح - فى خطابه لرؤساء اليهود "هذا هو الحجر الذى احتقرتموه أيها النباؤون الذى سار رأس الزاوية وليس بأحد غيره الخلاص" (أ ع ٤: ١٠- ١١) وهذا كان إيمان اليهود قبل المسيح إذ أجمعوا على أن الحجر الذى قطع هو المسيح المنتظر...

ويتصف ملكوت الله ، ملكوت المسيح فى هذه النبوة بالصفات التالية:

أ- أن ملكها هو السيد المسيح ملك الملوك ورب الأرباب، والذى قال عن نفسه إنه "رئيس ملوك الأرض" (رؤا: ٥).... والذى لن يحكم بالسيف أو القوة كما قال هو بل بالروح والحق "مملكتى ليست من هذا العالم" (يو١٨: ٣٦).

ب- هذه المملكة لم تؤسس بالقوة ولم يؤسسها بشر. بل مؤسسها هو إله السماوات "يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبدا" وملكها وحاكمها هو ابن الإنسان... إذا فالمملكة أصلها سمائى وحاكمها هو الآتى من فوق.

جـ - كما أنها مملكة أبدية ولن تنقرض "مملكة لا تنقرض وملكها لا يترك لشعب آخر". فهى لم تهزم مثل الإمبراطوريات العالمية السابقة ولن تضمحل ولن تزول. فهى مملكة روحية..

د- وهذه المملكة والملكوت الذى تنبأ عنه دانيال النبى "ملكوت السماوات" فى العهد الجديد. .إذ إن كل المواصفات هذه للمملكة كما بينا تؤكد أن أصلها سماوى وأن مؤسسها هو الله. وهذا ما يظهر بصورة أوضح فى (دا ٧)[٥٨]... فعندما جاء يوحنا المعمدان ونادى قائلا "توبوا لأنه قد اقترب ملكوت

[٥٨] سنناقش أيضا ما جاء فى (دا ٧) وسنرى أن ما جاء فيه إنما هو دليل على أن ملكوت السماء أو المملكة التى لا تزول ليست ملكوت عيسى عليه السلام وإنما ملكوت محمد (ص).

السماوات" وكذلك كانت أول كلمات السيد المسيح الكرازية أيضا "توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماء" وكما طلب السيد المسيح من تلاميذه أيضا "وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين اقترب ملكوت السماوات" كان اليهود وعلماؤهم يفهمون المعنى جيدا. فقد عرفوا وآمنوا أنه الملكوت الذى تنبأ عنه دانيال النبى..

وأخيرا تقول النبوة إن هذه المملكة التى سيقيمها الله أو ملكوت السماء ستعم كل الأرض. وقد تحققت نبوءة دانيال بكل دقة وتم إعلان المسيح بالحرف الواحد إذ انتشر الإنجيل فى كل المسكونة، فى كل بلاد العالم.. وترجم إلى جميع اللغات ومعظم اللهجات.

وصار هناك الملايين الذين يصلون كل يوم قائلين "ليأت ملكوتك"[٥٩] (متى ٦ : ١٠) انتهى قول القس.

ويقول المفكر المسيحى الأستاذ "رشاد فكرى": "كانت الإمبراطوريات الأربع متتابعة والله نفسه جعل نبوخذنصر على رأس وبداية هذه الإمبراطوريات ويشير الذهب الذى تميز به رأس التمثال إلى أن السلطان قد منح لهذه الإمبراطورية الأولى من الله مباشرة "إله السماوات أعطاك مملكة" بينما لم يحدث ذلك مع باقى الإمبراطوريات الثلاث التى تعاقبت بعد ذلك... لأنها ورثت العرش الذى سلمه الله للمملكة الأولى[٦٠]"

ويقول داربى Darbe: "هناك فكرة مقارنة بين المركز الذى شغله آدم كرأس خليقته والمركز الذى أُعطى لملك بابل[٦١]. ولو أن سيادة نبوخذنصر محدودة. فإنها تتميز بالطابع الذى تميزت به سيادة الأمم مع اختلاف واحد وهو أن الناس وضعوا تحت سلطانه. الأمر الذى لم يعطى لآدم"

---

[٥٩] أ. ك. إعجاز الوحى والنبوة فى سفر دانيال. للقس/ عبد المسيح بسيط ص ٩٠، ٩٢.

[٦٠] تأملات فى سفر دانيال لـ/ رشاد فكرى ص ٤٤.

[٦١] يقصد أن نبوخذنصر ملك على العالم بأسره. وسنوضح خطأ ذلك.

ويقول "وليم كلى" "لا نقرأ كلمة واحدة فى هذا الأصحاح عن الآلام المسيح من أجل خطايانا. ولا عن الإنجيل المكروز به لكل الخليقة.. لكننا نقرأ عن المسيح آتيا بالقضاء والقوة والمجد للتعامل مع المملكة الرابعة فى دورها النهائى. وبعد هذا القضاء المدمر سوف تسود مملكة المسيح وتملأ كل الأرض وتحكمها".

ونرى أن كل من كتب تفسيرا لهذه النبوءة منهم قد وقع فى أخطاء تاريخية فادحة. بل تجاهلوا سياق الأحداث وتواريخ الممالك تماما.

ـ التعليق على هذه الأقوال ومناقشتها

فى البداية فنحن نوافقهم على أن المملكة الخامسة هى مملكة "المسيح المنتظر" أو المسيّا - μεσσια وكما يؤمن بذلك اليهود أيضا.

ولكنا نختلف فى زمان مجىء هذه المملكة على مسرح الحياة؟ وكيفيتها.

وعند دراسة النبوءة دراسة علمية وبموضوعية تامة من خلال الأحداث التى ذكرت فى النبوءة. وحدثت على مسرح التاريخ يتضح الآتى:

<u>١- متى ستأتي المملكة الخامسة:</u> يقول دانيال "... وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد - المملكة الرومانية ـ لأن الحديد يسحق كل شىء" أى يتنبأ عن قيام المملكة الرومانية. وأنها ستكون قوية جدا وتكتسح كل شىء ولذلك وصفها بالحديد. وهذا عند بداية تكوينها و إلى ٥٠٠ سنة.

ثم ماذا بعد ذلك؟ يقول "وبما رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف والبعض من حديد فبعض المملكة يكون قويا والبعض قصما ضعيفا"أى بعد ذلك ستنقسم المملكة إلى قسمين : شرقى وغربى:

أ ـ قسم قوى- من حديد.

ب ـ قسم ضعيف- من خزف .

ثم ماذا بعد ذلك؟ يقول "وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبدا. وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهى تثبت إلى الأبد. لأنك رأيت أنه قطع حجر من جبل لا بيدين. فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب".

إذا المملكة الخامسة ستقوم فى أيام ملوك قسمى المملكة الرومانية. أى بعد انقسامها إلى جزء قوى وجزء ضعيف. لا قبل ذلك.

ـ المسيح عيسى عليه السلام والمملكة الخامسة.

إذا ما علاقة المسيح عليه السلام بالمملكة الخامسة؟

يقول علماء اللاهوت المسيحى إنه هو مؤسس المملكة الخامسة. وهذه هى مملكة القديسين المسيحيين. ولكن هذا الادعاء يتعارض كلية مع الأحداث التاريخية التى ذكرتها النبوءة. والتى حدثت بعد المسيح لا عند مجيئه.

حيث إن المسيح عيسى عليه السلام. أتى والإمبراطورية الرابعة فى مجدها وسلطانها. وكانت وحدة واحدة ولم تكن منقسمة بعد.

حيث انقسمت الإمبراطورية الرومانية عام ٢٨٤م. فى عهد القيصر "دقلديانوس" آخر الأباطرة العشرة الذين اضطهدوا المسيحية.

علاوة على أن المسيحية انتشرت فى ومن خلال الإمبراطورية الرومانية ولم تسحقها ولم تهزمها. ولم يتمرد المسيح عليه السلام يوما على الإمبراطورية الرابعة. بل قدم لها كل الولاء والطاعة التامة.

وقال عندما سُئل عن الجزية التى تعطى للرومان "أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله"[٦٢].

إذا يتضح لنا أنه لا علاقة بالمسيحية والمملكة الخامسة. لأن المسيحية أتت

---

[٦٢] ونرى أن السائل كان يتأكد من هوية المسيح، هل هو المبشر به فى (دا ٢) أم لا؟ لأن المنتظر فى (دا) يسحق الإمبراطورية الرومانية ولا يقدم لها الولاء.

قبل التاريخ المحدد للأحداث التى تسبق وتعاصر مجىء المملكة الخامسة. وما هو مذكور فى (دا ٢).

٢- من هو الحجر الذى قطع من جبل؟

ذكرنا قولهم من هو الحجر الذى سحق الممالك السابقة. حيث قالوا بأنه هو المسيح عيسى عليه السلام. نظرا لكونه بدون أب والحجر موصوف بأنه قطع بغير يدين.

والخطأ فى ذلك أن "الحجر الذى قطع من جبل" هو وصف للمملكة الخامسة التى تكتسح الممالك الأربع السابقة. وليس وصفا لمؤسس المملكة حيث:

أ - "وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبدا وملكها لا يترك لشعب أخر، وتسحق وتفنى كل هذه الممالك".

قال دانيال هذا للملك نبوخذنصر تفسيرا لـ "لأنك أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب".

تفسير دانيال	رؤيا نبوخذنصر
- يقيم إله السماوات مملكة. - وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل الممالك.	- لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين. - فسحق (الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب) (كل الممالك).

ب - يقول هودجكن فى كتابه "المسيح فى كل الكتب" "وأما الحجر الذى قطع بغير يدين ويسحق التمثال العظيم فكناية عن مملكة المسيا أى المسيح المنتظر".

جـ - فى التفسير التطبيقى للكتاب المقدس ص١٦٨٤ "وأما الحجر المقطوع من الجبل فيشير إلى ملكوت الله الذى يحكمه المسيا ملك الملوك" إذا "الحجر" هو

الملكة الخامسة ووصف لها كما سنوضح.

٣- المملكة الخامسة وملكوت السماء:

قالوا بأن المملكة الخامسة التى سحقت الممالك التى سبقتها هى ملكوت السماء. وهذا صحيح ونوافقهم عليه.

ولكن ما صفاتها؟ وفيم تتمثل؟ ومن هو مؤسسها؟ ومتى ستأتى؟ وهل أتت؟.

أولا: الممالك الأربع (البابلية والفارسية - مادى وفارس - واليونانية والرومانية) كانت ممالك أرضية حقيقية. والمملكة الخامسة ستسحق وتفنى وتكسر تلك الممالك. إذا يجب ولا بد أن تكون هذه المملكة حقيقية وروحية وأرضية. وتنظم بدستور إلهى روحى سمائى.

وهذا يتنافى مع قولهم بأنها مملكة روحية فقط ليس لها كيان أرضى.

ثانيا: فى الإنجيل علم المسيح تلاميذه بأن يصلوا قائلين "أبانا الذى فى السماوات. ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض" (متى ٦: ١٠).

والمسيح يوضح أمرين:

الأول: أن المملكة الخامسة - ملكوت السماء - لم تأت فى أيام المسيح ولم تأت بعد إلى الآن. لأنهم إلى الآن يصلون قائلين" ليأت ملكوتك".

الثانى: أعطى المسيح التعريف الصحيح لملكوت السماء "ليأت ملكوتك" وماذا يحدث بعد أن يأتى الملكوت؟

"لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض".

إذا بمجىء الملكوت تتحقق مشيئة وإرادة الله على الأرض كما فى السماء. وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على أن الملكوت هذا أرضى مستمد من تعاليم سماوية وروحية.

إذا التعريف الصحيح لملكوت السماء هو ما قاله "وليم باراكلى" فى تفسيره لسفر أعمال الرسل "الملكوت هو مجتمع على الأرض تُنفذ فيه إرادة الله تماما كما فى السماء".

والحقيقة أن ملكوت السماء قد أتى منذ ١٤٠٠ سنة بمجىء محمد (ص).

ثالثا: أعطى المسيح عليه السلام علامات لمجىء الملكوت فقال "فسألوه قائلين: يا معلم متى يكون هذا؟ وما هى العلامة عندما يصير هذا؟.

فقال: انظروا لا تضلوا. فإن كثيرين سيأتون باسمى قائلين: إنى أنا هو. والزمان قد قرب. فلا تذهبوا وراءهم. فإذا سمعتم بحروب وقلاقل فلا تجزعوا. لأنه لابد أن يكون هذا أولا. ولكن لا يكون المنتهى سريعا. ثم قال لهم: تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة وتكون زلازل عظيمة فى أماكن ومجاعات وأوبئة وتكون. مخاوف وعلامات من السماء... هكذا أنتم أيضا. متى رأيتم هذه الأشياء صائرة فاعلموا: أن ملكوت الله قريب" (لو٢١/٦-٣٠).

ومعنى هذا أيضًا أن ملكوت الله = ملكوت السماء = المملكة الخامسة. لم تأت بعد - أيام المسيح - وأعطى علامات لمجيئها كظهور مسحاء كذبة يدعون أنهم المسيح كـ "باركوبا" الذى ادعى أنه المسيح المنتظر وقاد اليهود فى حرب فاشلة مع الرومان ١٣٢م "ومانى".

رابعا: ولكى يهربوا من هذا التناقض بين صفات عيسى عليه السلام وصفات الملكوت = المملكة الخامسة.

حيث إن المملكة الخامسة ستكتسح وتهزم والمسيح عيسى لم يكن قويا. ولم يكن متمردا على الدولة الرومانية كى يسحقها.

فقال بأن ملكوت الله هو مجىء المسيح الثانى يوم الدينونة. فمثلا قال أ. رشاد فكرى "وهنا نرى أن الحجر يمثل كلا من المسيح ومملكته. وهذا سيتم مستقبلا عندما يظهر المسيح بالقوة ويقضى على جميع الممالك العالمية ويؤسس

المملكة العالمية الأخيرة"[٦٣].

وتفسيرهم هذا يتناقض مع التحديد الزمنى لمجىء ملكوت السماء = المملكة الخامسة. والمذكور فى سفر دانيال.

حيث ذكر دانيال بأن المملكة الخامسة ستظهر فى أيام انقسام المملكة الرومانية ـ وانتهت المملكة الرومانية ـ فلابد أن تكون تلك المملكة الخامسة قد أتت منذ القديم.

خامسا: لا نختلف معهم فى أن مؤسس ملكوت الله هو الله. ولكن نختلف معهم فى كون المسيح عيسى عليه السلام هو الله؟ أو هو مؤسس أو النائب عن المؤسس لتلك المملكة.

وقوله "يقيم إله السماوات مملكة" يعنى أن هذه المملكة الخامسة ستكون مؤيدة من الله. وتُنظم وتُحكم بقوانين الله الروحية.

فمثلا قيل عن نبوخذنصر "إله السماوات أعطاك مملكة" تعنى أن كل شىء من أمر الله وبإذنه.

فليس معنى أن الله سيقيم مملكة أو ملكوتا. أن ينزل بذاته إلى الأرض لكى يؤسسها ـ حاشا لله ـ وإنما تعنى أنه يقيمها على يد أحد البشر كنائب عن الله وخليفته. فينسب الفعل إلى المسبب.

وأخيرا. وبعدما أوضحنا أن المسيحية ليست هى المملكة الخامسة. فما هى هذه المملكة؟ وفيم تمثلت؟ وإذا كانت قد أتت فمتى وأين؟ ومن هو النائب عن الله الذى أسسها الله على يديه فى الأرض ؟

هذا ما سنناقشه فى الفصل القادم.

---

[٦٣] تأملات فى سفر دانيال ص ٤٨.

الفصل الخامس

حلم دانيال وتأكيد

حلم نبوخذنصر

ناقشنا فى الفصل السابق رؤية تنبؤية عن تتابع وتعاقب أربع ممالك كبرى رآها نبوخذنصر وفسرها له دانيال النبى بوحى من الله، وعن قيام مملكة خامسة يقيمها إله السماوات الحقيقى أو بما تسمى بملكوت الله، وذكرنا كل التأويلات التى قيلت فى تفسير تلك الرؤية. والآن نناقش رؤية أخرى تتشابه بل تتفق مع الرؤيا السابقة فى المضمون والجوهر العام وذلك تأكيدا على تحقيق تلك الأحداث على مسرح التاريخ، وهذه المرة رأى دانيال النبى وفسر له ملاك فى أيام بيلشاصر آخر ملوك الدولة البابلية.. وتختلف مع الرؤية السابقة فى أوجه الرموز لمعبرة عن الممالك الأربع حيث هناك عبر عن الممالك بالمعادن التى تعبر عن مدى غناها وتحملها فى الوجود وهنا عبر عنها بالحيوانات للدلالة على مدى قوتها.

وبيان ذلك:

(١) نص الرؤية وتفسيرها:

"فى السنة الأولى لبيشاصر ملك بابل رأى دانيال حلما وروى رأسه على فراشه حينئذ كتب الحلم وأخبر برأس الكلام. أجاب دانيال وقال كنت أرى فى رؤياى ليلا وإذا بأربع رياح السماء هجمت على البحر الكبير وصعد من البحر أربعة حيوانات عظيمة هذا مخالف ذاك حتى انتصف جناحاه وانتصب عن الأرض وأوقف على رجلين كإنسان وأعطى قلب إنسان. وإذا بحيوان آخر ثان شبيه بالدب فارتفع على جنب واحد وفى فمه ثلاثة أضلع بين أسنانه فقالوا له

هكذا. قم كل لحما كثيرا. وبعد هذا كنت أرى وإذا بآخر مثل النمر وله على ظهره أربعة أجنحة طائر. وكان للحيوان أربعة رؤوس وأعطى سلطانه. بعد هذا كنت أرى في رؤى الليل وإذا بحيوان رابع هائل وقوى وشديد جدا وله أسنان من حديد كبيرة. أكل وسحق وداس الباقي برجليه. وكان مخالفا لكل الحيوانات الذين قبله وله عشرة قرون. كنت متأملا بالقرون وإذا بقرن آخر صغير طلع بينها وقلعت ثلاثة من القرون الأولى من قدامه وإذا بعيون كعيون الإنسان فى هذا القرن وفم متكلم بعظائم. كنت أرى أنه وضعت عروش وجلس القديم الأيام. لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقى وعرشه لهيب نار وبكراته نار متقدة. نهر نار جرى وخرج من قدامه. ألوف ألوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدامه. فجلس الدين وفتحت الأسفار. كنت أنظر حينئذ من أجل صوت الكلمات العظيمة التى تكلم بها القرن. كنت أرى إلى أن قتل الحيوان وهلك جسمه ودفع لوقيد النار. أما باقى الحيوانات فنزع عنهم سلطانهم ولكن أعطوا طول حياة إلى زمان ووقت كنت أرى فى رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه. فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبّد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض. أما أنا دانيال فحزنت روحى فى وسط جسمى وأفزعتنى رؤى رأسى. فاقتربت إلى واحد من الوقوف وطلبت منه الحقيقة فى كل هذا. فاخبرنى وعرّفنى تفسير الأمور. هؤلاء الحيوانات العظيمة التى هى أربعة هى أربعة ملوك يقومون على الأرض. أما قديسو العلى فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة إلى الأبد والى أبد الآبدين. حينئذ رمت الحقيقة من جهة الحيوان الرابع الذى كان مخالفا لكلها وهائلا جدا وأسنانه من حديد وأظفاره من نحاس وقد أكل وسحق وداس الباقى برجليه. وعن القرون العشرة التى برأسه وعن الآخر الذى طلع فسقطت قدامه ثلاثة وهذا القرن له عيون وفم متكلم بعظائم ومنظره أشد من رفقائه. وكنت أنظر وإذا هذا القرن يحارب القديسين

فغلبهم حتى جاء القديم الأيام وأعطى الدين لقديسى العلى وبلغ الوقت فامتلك القديسون المملكة فقال هكذا. أما الحيوان الرابع فتكون مملكة رابعة على الأرض مخالفة لسائر الممالك فتأكل الأرض كلها وتدوسها وتسحقها. والقرون العشرة من هذه المملكة هى عشرة ملوك يقومون ويقوم بعدهم آخر وهو مخالف الأولين ويذل ثلاثة ملوك. ويتكلم بكلام ضد العلى ويبلى قديسى العلى ويظن أنه غيّر الأوقات والسنة ويسلمون ليده إلى زمان وأزمنة ونصف زمان. فيجلس الذين وينزعون عنه سلطانه ليفنوا ويبيدوا إلى المنتهى. والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تعطى لشعب قديسى العلى. ملكوته أبدى وجميع السلاطين إياه يعبدون ويطيعون. إلى هنا نهاية الأمر. أما أنا دانيال فأفكارى أفزعتنى كثيرا وتغيّرت على هيئتى وحفظت الأمر فى قلبى" دانيال ٧.

هذا هو نص الرؤية بالكامل من سفر دانيال أصحاح ٧، ونرى أن هذه الرؤية تضمنت ما يلى:

١ - تنبأ عن أربع ممالك صورها بالحيوانات كل حسب قوته.

٢ - ركز أكثر على ملامح الإمبراطورية الرابعة حيث ذكر العشرة قرون = العشرة أباطرة = ثم بعدهم قرن صغير هو حاكم رومانى أيضًا يأتى بعدهم ووصفه بأنه ضد العلى وأطهر المؤمنين وذلك رمز لقوته وسلطانه.

٣ - ثم بعد هذه الأحداث يأتى ابن الإنسان النائب عن الله لتأسيس المملكة الخامسة = ملكوت السماء.

فمن هو هذا ابن الإنسان؟

ومن هو القرن الصغير؟ وما علاقته بضر المسبا ومن هم الأباطرة العشرة؟ وفى أى زمان كانوا؟

وتوضيح ذلك :

أولا: الممالك الثلاث الأولى:

١ ـ المملكة البابلية:

وصورها بالأسد وله جناح نسر وهذا لقوته.

٢ ـ المملكة الفارسية "مادى وفارس"

وشبهها بالدب وفى فمه ثلاثة أضلع بين أسنانه.

٣ ـ مملكة اليونان:

وشبهه بالنمر وعلى ظهره أربعة أجنحة وكان له أربعة رؤوس وأعطى سلطانه هذا الحيوان يرمز للإمبراطورية اليونانية. ورأسها الإسكندر الأكبر وترمز الأربع أجنحة للدلالة على سرعته الفائقة على الاكتساح والسيطرة حيث قام الإسكندر خلال عشر سنوات بغزوات من آسيا الصغرى إلى مصر جنوبا والهند شرقا حتى وصل إلى المحيط الهندى ووصفه دانيال بـ "تتسلط على كل الأرض".

ثانيا: المملكة الرابعة:

ووصفها دانيال بحيوان رهيب ويعطى له مساحة كبيرة تفوق ما أعطاه للحيوانات الثلاثة السابقة أما عن القرون العشرة وهم العشرة أباطرة ولكن أى عشرة هؤلاء وفى أى عهد كانوا، إنهم العشرة أباطرة الذين اضطهدوا المسيحية "القديسون" وآخرهم دقلديانوس ٢٨٤م.

ولكن يعتقد علماء اللاهوت المسيحى ـ البعض منهم ـ أن هؤلاء العشرة هم عشرة ملوك يقسمون العالم الرومانى بينهم حيث يقول القديس جيروم[٦٤] (دعونا نؤكد أن ما سلمه لنا كل الكتاب الكنسيين أنه عند دمار الإمبراطورية الرومانية سينهض منها عشرة ملوك سيقيمون العالم الرومانى بينهم).

ويقول القديس أغسطينوس والقديس أرينؤس (يتطلع دانيال أيضًا إلى نهاية المملكة الأخيرة أواخر عشرة ملوك الذين ستنقسم بينهم أولئك الناس)[٦٥].

---

٦٤ Chr: Words. Dan. P. ٣٠

٦٥ Ag Her. V: ٢٦. -٣٦

ولكن هذا التفسير يتعارض مع الحقائق التاريخية المعروفة عن الإمبراطورية الرابعة كما أوضحنا فى الفصل السابق حيث إن نص النبوءة واضح فى أن هؤلاء العشرة هم ملوك وأباطرة يقومون ويملكون على المملكة الرومانية أى أحد ملوكها ولم يشر من قريب أو من بعيد إلى تقسيم أحدهم للملكة أو محاولة استقلاله بجزء ما من الإمبراطورية الرومانية، ويقول القديس جيروم وغيره بأن هؤلاء العشرة سيقيمون العالم الرومانى بينهم وهذا يشير إلى أن هؤلاء العشرة سيتعاصرون من حيث وجودهم فى حين أن نص الرؤية يقول بأنهم سيتتابعون كل بعد الآخر".

" وكان مخالفا لكل الحيوانات الذين قبله وله عشرة قرون" .

ثالثا: القرن الصغير ما هو؟

تقول النبوءة إنه بعد القرون العشرة سيظهر قرن صغير وهذا القرن الصغير له فم ويتكلم بعظائم وهذا إشارة إلى كأنه إنسان يضطهد المؤمنين ويتكلم بكلمات تتنافى مع ذات الله "وعن الآخر ـ القرن الصغير ـ الذى طلع فسقطت قدامه ثلاثة فهذا القرن له عيون وفم متكلم بعظائم ومنظره أشد من رفاقه وكانت انظر وإذا هذا القرن يحارب القدسين فغلبه".

"فيجلس الذين وينزعون عنه سلطانه ليفنوا ويبيدوا إلى المنتهى. والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل سماء تعطى لشعب قديسى العلي".

وليس معنى ذلك أن ابن الإنسان والمملكة الخامسة تقوم فى أيام هذا القرن الصغير إذ أنه مات. ولكن المعنى هو أن العظائم التى تكلم بها وأيدها ستظل سائدة ذات سلطان ملكى إلى أن يأتى ابن الإنسان ومتى سيأتى ابن الإنسان؟

رابعا: متى سيأتى ابن الإنسان؟

للإجابة على هذا السؤال يجب ملاحظة أن هناك علاقة بين هذه الرؤية والرؤية السابقة لدانيال، وهذا باتفاق كافة رجال اللاهوت المسيحى.

وبالرجوع إلى النبوءة السابقة نرى أن المملكة الخامسة والتى سيقوضها على الأرض ابن الإنسان (دا ٢١) ستأتى فى أيام ضعف المملكة الرومانية أى انقسامها إلى قسمين ضعيف وقوى كما أوضحنا فى الفصل السابق، والمسيح عيسى أتى فى بدايتها وقوتها ووحدتها إذا هو ليس مؤسس الملكوت.

وأيضًا إحالتهم لتحقيق هذا الأمر عند مجيئه الثانى باطل لأن الإمبراطورية الرومانية انتهت ومجىء ابن الإنسان مرتبط بوجودها وانقسامها إذا ليس هو ابن الإنسان المشار إليه (دا ٧).

نرجع فى الحديث عن القرن الصغير، فلقد ارتبط الفكر اللاهوتى بجعل القرن الصغير هو ما يسمى بضد المسيح أو الدجال ونوافقهم فى ذلك ولكن اختلفوا فى تحديد من هو ذكرهم القس عبد المسيح فى كتابه المجىء الثانى والمضمون العام عن هذا هو أنه سيكون حجر عثرة ويتنبأ بالكذب ويضطهد المؤمنين وغير ذلك[٦٦].

ولا نخالفهم فى كل هذا ولكن نخالفهم فى موعد مجيئه فمنهم من يرى أنه لم يأت بعد وأحالوا مجيئه قبل المجىء الثانى للمسيح ومنهم من يرى متمثلا فى عدة أشخاص مسحاء كذبة ولكن تجاهلوا أنه سيأتى خلال وجود الدولة الرومانية.. ورأينا أنه قسطنطين ٣١٩م فهو الذى بسلطانه انعقد مجمع نقيا ٣٢٥م وبسلطانه وقوته أيد مذهب ألوهية المسيح الابن والذى كان قول ٣٨١ من أعضاء المجمع من مجموع يتجاوز الألفين وأظهر كل من خالف تأليه المسيح مثل أريوس الذى كان ينادى ببشريته واتباعه وهذا ما يعلمه كل الدارسين للحقبة الأولى لتاريخ المسيحية وتاريخ المجامع[٦٧].

---

[٦٦] مثل القديس بوليكا ربوس (٦٩- ١٥٥)، رسالة برنابا (١٠٠م)، القديس أريناؤس (١٤٠ - ٢٠٢م) وغيرهما وذلك فى مرجع٧١٠ Ag. Her.xx

[٦٧] انظر تفصيل كتابنا الإسلام يتحدى الجزء الأول.

الفصل السادس

تأثر اليهود بالمعتقدات البابلية.... (١)

لقد تم سبى اليهود إلى بلاد ما بين النهرين أكثر من مرة، فالبابليون وقبل البابليين الآشوريون مرتين، وقد تأثر اليهود بفكر وثقافة تلك البلاد واقتبسوا من حضارتها كثيرا. وتجلى هذا التأثير عند كتابة التوراة فى بابل وعلى يد عزرا الكاهن بعد الرجوع من السبى الكبير.

وقد كان أحبار ومفكرو اليهود يعتقدون على مدى قرون طويلة بأن كتب العهد القديم مصدرا تاريخيا لا يعتريه الشك يرجعون إليه لمعرفة كل ما يتعلق بالتاريخ القديم دون تمحيص أو تحقيق أو بحث من حيث الأماكن أو التواريخ أو الأسماء.

بل ظلوا ومازالوا يفتخرون بأمجاد أجدادهم اليهود. فهم ـ اليهود ـ يدعون أن التوراة من فكرهم وثقافتهم وذات مرجعية روحية من الله. وأنهم أصحاب الفضل الأول على البشرية.

ولكن أتت الفاجعة الكبرى التى أيقظتهم من أحلامهم السعيدة. حيث ما تم اكتشافه من خلال التنقيبات الأثرية فى منطقة ما بين النهرين فى القرن التاسع عشر، حيث إن هذه التنقيبات الأثرية أثبتت مما لا يدع مجالا للشك فى التزوير الذى مارسوه ـ بنى إسرائيل ـ بحق التراث البابلى الآشورى القديم، وأنهم شعب لا يملك تراثا، ولا أية مقومات سواء كانت حضارية أم روحية، وأن ما هو موجود فى كتب العهد القديم ما هو إلا سرقة أدبية وتراثية من تراث بلاد ما بين النهرين.

حيث يقول "يعقوب كلاتزكين" "اليهودية نظام أخلاقى ومثل أعلى للعدالة

الاجتماعية".

ولا نعلم من أين أتى بذلك، فالتوراة على قدر ما تحويه من نصوص تدعو إلى الأخلاق على قدر ما تحوى ما يعلم الفساد والمحارم والقتل وغير ذلك مما يتنافى مع الحقوق الآدمية لغير اليهودى، وليس هذا موضوعنا الآن.

وتقول الباحثة اليهودية "ترود فايس روزمارين" فى كتابها البقاء اليهودى "إن اليهود شعب فريد وحسبهم أنهم أعطوا الغرب كل ما لديه من معتقدات دينية ومثل عليا خلقية، وإنهم ساهموا فى رفد الحضارة الإنسانية بالأدب والأخلاق المميزة للحضارات اليهودية".

ومن الواضح أن هذه الباحثة لم تقرأ التوراة جيدا، ولم تقرأ التاريخ القديم لليهود وهم فى مرحلة الرعاة والقبلية أو وهم فى مرحلة العلو والمُلك وأنها لو قرأت ذلك جيدا ما تجرأت أن تتطرق لهذا القول أو متجاهلة ما تم اكتشافه حديثا فى بلاد ما بين النهرين.

ومن خلال الدراسات التاريخية الحديثة اعتمادا على مصادر قديمة أخرى ثبت الشك فى مصداقية التوراة من الناحية التاريخية.

وقد اعترف الكثير من رجال الفكر اليهودى بهذه الحقيقة مثل:

البروفيسور اليهودى "زئيف هرتزوج" حيث اعترف بأن حكايات كتاب العهد القديم عن آباء شعب إسرائيل واستيطانهم لمصر والخروج منها والسكن فى أرض فلسطين أكدت أنه لم يكن هناك أى شىء لليهود على الإطلاق وليس لديهم حضارة تذكر.

حيث اقتبسوا كل شىء من الحضارات الأخرى، وفى علم ١٨٦٩ اكتشف الباحث "أوبرت" رقيات مكتوبة بلغة يبدو أنها ليست آشورية و بابلية ولا كلدانية، وبعد البحث توصل إلى أن هذه الرقيمات تدل على وجود شعب قديم فى وادى الرافدين، أقدم من البابليين والأكديين، هى التى مهدت للحضارات

التالية.

وعندما سمع الباحث اليهودى "جوزيف هاليفى" كلام أوبرت صرح مؤكدا أن لا شعب غير الشعب السامى قد بنى حضارات العراق، وأن اللغة السومرية هذه مجرد اختراع مصنع قام به الساميون أنفسهم لأغراض سرية وكهنوتية.

بينما الوقائع تثبت حقا أن الشعب السومرى وباقى الشعوب السامية التى هاجرت من جزيرة العرب هى التى بنت الحضارات، وكانت حضارة وادى الرافدين من سومر وبابل الأثر الواضح والكبير فى تأليف التوراة. حيث احتوت أسفار التوراة وسفر التكوين على وجه الخصوص على الكثير من المعتقدات الدينية التى ترجع إلى أصول بابلية وسومرية، إلى الحد الذى دفع عالم الآثار الألمانى "فريدريك ديلبج" إلى القول فى محاضرته بعنوان "بابل والتوراة" "بأن سفر التكوين غارق فى ذنوب الانتحال، ويمكن إرجاع هذه التأثيرات عن طريقين: الأولى عن طريق الآباء الأوائل حيث إن إبراهيم كان أصلا من أول الكلدانيين وكذلك لوط.

إن هؤلاء المهاجرين الأوائل جلبوا معهم متاعا حضاريا كبيرا من أرض مولدهم يتضمن كثيرا من التفاصيل التى هى الآن فى الأصحاحات الأولى من سفر التكوين، ويرى بعض الباحثين من اليهود أن وجود أوجه التشابه بين النصوص السومرية البابلية والتوراتية إنما هو دليل على عمق الروابط بين النتاج الحضارى الرافدى والتوراتى، فإذا كان الآباء الأوائل جاءوا فعلا من وادى الرافدين، كما تؤكد ذلك التوراة مرارا فلا نتوقع منهم إلا أن يكونوا على علم بنتاج موطنهم الأصلى، ولذلك فإن وجود مادة مستوردة فى سفر التكوين إنما هو فى رأيهم: برهان على الأصالة فى الاشتقاق وليس على كونها سرقة نكراء.

وهذا جدول يوضح بعض معالم السرقة التى سنوضحها تفصيلا فى هذا الفصل.

ما ورد فى بلاد ما بين النهرين	ما سرقه اليهود فى التوراة
ـ القصة بالكامل فى قصة "اينوما ايلش"	ـ الفصل الأول والثانى من سفر التكوين
ـ قصة ملحمة "جلجماش"	ـ قصة الطوفان
ـ "يهوه" إله بابلى قديم كان متروكا فى الفترة عندما كان اليهود مسبيون إلى بابل	ـ اسم الإلهى "يهوه"
ـ قصة آدم وحواء رسمت على الأختام الأسطوانية حيث (رجل جالس وأمامه امرأة وبينهما شجرة ووراء الشجرة حية"	ـ قصة آدم وحواء
ـ وزير الملك الآشورى سرجون وسنحاريب الذى كتب حكمته باللغة الآرامية	ـ الحكيم أحيقار بن عم "طوبيا" وكان حكيما
ـ حكمة أحيقار الأشورى وقد اكتشفت فى جزيرة الفيلة فى مصر. نسخة كانت موجودة منذ القرن الخامس ق.م	ـ سفر يشوع، الحكمة
ـ قصيدة الزواج المقدس فى بابل. وكانت تقرأ فى الزواج المقدس من قبل الكهنة فى بابل	ـ شفر نشيد الإنشاد لسليمان

وأخيرا:

لا يمكن لكل باحث فى شئون بنى إسرائيل وتاريخهم الطويل أن ينكر أن السبى البابلى الأخير قد أثر على التفكير الدينى لهم بعد اختطلاهم مع سكان

بابل الأصليين.

وعن طريق هذا الاتصال انتقلت بواسطتها تلك المعتقدات الدينية البابلية وتحولت فى التوراة أن الأسباب الكامنة وراء السبى يعود لطبعهم وعصيانهم. فكان تأديب من الله لهم.

وكان وجود العبرانيين أنفسهم فى بابل أثناء الأسر البابلى له الأثر الكبير فى اقتباس الحضارة البابلية.

وأثناء وجودهم فى السبى البابلى تمكنوا من الاطلاع على الوثائق المسمارية المدونة باللغة السومرية والبابلية والخاصة بخلق الكون والإنسان والموت.. وبعد الرجوع من الأسر البابلى قام عزرا بتأليف التنبؤات وإعطائها طابع المصداقية، ويفتخر معتنقى اليهودية بان تنبؤات التوراة أثبتت صدق وعد الله.

وبيان ذلك:

(١) "السرقة التوراتية الأولى"[٦٨]: (خلق الكون والإنسان)

لقد أثبتت الوثائق التى اكتشفت وترجمت حتى الآن بأن السومريين كانوا قد أطالوا التأمل فى الطبيعة.

وفكروا فى منشأ الكون وكيفية قيامه وتدبره. وهناك دلائل وإثباتات تشير إلى أن مفكري السومريين كانوا فى الألف الثالث قبل الميلاد قد وضعوا قواعد للكونيات ومعتقداتهم الدينية. وقد اعتقد السومريين بأن أهم وحدتين يتركب منهما الكون هما السماء والأرض – إن كى – وأنه هناك مادة أخرى بين السماء والأرض أطلقوا عليها – ليل– ومعناها هواء، نفس، روح.

ومن خصائص هذه المادة هى الحركة والانتشار. ويعتقدون أن الأجرام

---

[٦٨] اعتمدنا فى هذا الفصل على دراسة على الإنترنت. شبكة البصرة.

السماوية كالشمس والقمر والكواكب والنجوم كلها مصنوعة من مادة هذا الغلاف ليل، وأن السماء والأرض محاطتان من كل الجهات ببحر خضم لانهاية له، وأن الكون ثابت فى هذا الخضم . وهكذا استنتج السومريون أن مبدأ الكون الأول هو هذا البحر العظيم الذى ولد الكون السماء والأرض، وبينهما الهواء الغلاف الجوى ويقولون إنه بعد انفصال السماء عن الأرض وتكون الأجرام السماوية وجدت الحياة على الأرض.

وقد ألف السومريون والبابليون أساطير وقصصا عديدة تتناول موضوع خلق الكون والإنسان وخاصة ملحمة "جلجامش وانكيدو".

حيث إن فكرة السومريين بخصوص خلق الكون قائمة على أن فى البدء كانت مياه البحر حيث كانوا يتصورون أن المياه كانت أزلية، ومن هذه ـ مياه البحر الأزلية ـ ولد جبل كونى يمثل السماء والأرض متحدين، ونتيجة لاتحاد السماء والأرض ولد إله الهواء انليل، وأن هذا لإله انليل فصل السماء عن الأرض، محمل أبوه السماء، وحمل هو الأرض.

وكذلك فقد كان خلق الإنسان واحدا من المواضيع التى تناولتها الأساطير السومرية والبابلية والتوراة على حد سواء. وفى الديانة البابلية تعد الخليقة وقصة الطوفان من المراجع الأساسية عن موضوع خلق الإنسان، وأن خلق الإنسان لم يكن غاية فى حد ذاتها، أو نتيجة مكملة لبقية مراحل خلق الكون، وإنما حدث بسبب العناء الذى أصاب الآلهة من جراء العمل فى الأرض، فقررت أن تستريح وتخلق بديلا عنها يحمل المشقة. وأن الإنسان خلق من أجل العمل فى الأرض، لكى يريح الآلهة من عناء العمل وليقدم لها الطعام.

إن خلق الكون فى معتقدات السومريين والبابليين له ما يوازيه فى بداية الأصحاح الأول من سفر التكوين، حيث تعتبر التوراة أن المياه أصل الوجود، وأن السماء والأرض خلقتا بعد عملية فصل أيضًا بين المياه التى تحت الجلد والمياه التى فوق الجلد.

أما عن أنه ـ الإنسان ـ خلق ليحمل التعب والكد عن الآلهة فإن مصيره فى التوراة كان مشابها لهذا تماما. إذ ذكر فى التوراة "يعمل للأرض التى أخذ منها (يكدح ويتعب فيها).

ولنذكر الآن جزءا من الأصحاح الأول من سفر التكوين حيث خلق الكون.

"فى البدء خلق الله السماوات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه. وقال الله ليكن نور فكان نور ورأى الله النور أنه حسن. وفصل الله بين النور والظلمة. ودعا الله النور نهارا والظلمة دعاها ليلا وكان مساء وكان صباح يوم واحد.

وقال الله ليكن جلد فى وسط المياه. وليكن فاصلا بين مياه ومياه. فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التى تحت الجلد والمياه التى فوق الجلد... ودعا الله الجلد سماء.

وكان مساء وكان صباح يوم ثان". (تك ١ : ١ـ ٨).

"فأكملت السماوات والأرض وكل جندها وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله" (تك ٢ : ١ـ ٣).

(٢) "السرقة التوراتية الثانية" (جنة عدن)

ذكرت النصوص السومرية التى نقشت على الطين فى الألف الثالث قبل الميلاد، والتى سميت بعد ذلك بالألواح السومرية المكتشفة فى وادى الرافدين، بأن الجنة الأبدية بلا خطيئة ولا أمراض ولا أوجاع ولا شيخوخة هى جنة سلام وصحة ومياه وافرة، ونعتتها أساطيرهم بالطهر والنقاء. وحتى البابليون والكنعانيون عبروا عنها بالحياة الأبدية. وجاء الوصف فى النص السومري كما يلى:

ـ ذلك المكان الطاهر ذلك المكان أكثر لمعانا.

ـ الغراب لا ينعق فى دلمون.

ـ الأسد لا يفترس الذئب لا ينهش الحمل.

ـ مريض العين يقول أنا لست مريضا بالعين.

ـ الذى يشكو من وجع الرأس يقول أنا لا أشكو من وجع الرأس.

ـ المراة العجوز لا تقول أنا عجوز.

ـ المغنى لا يطلق نواحا.

إن أول ذكر لدلمون فى تلك النصوص كان نصا لمؤسس سلالة لكش الأولى فى العصر السومري القديم الذى ذكر نقل سفن دلمون الكبيرة له الخشب كجزية من بلاد أجنبية. وتتحدث الأسطورة عن اتصال الإله ـ انكى ـ بزوجته فى دلمون، ثم أمره الإله اوتو ـ إله الشمس ـ أن يملأ الجزيرة بالماء العذب، فكان له ما أراد فتحولت الجزيرة إلى جنة خضراء مليئة بالحقول.

وفى ملحمة جلجماش، وفى أسطورة الطوفان السومرية أطلق اسم أرض العبور على دلمون، وجعلت الجزيرة مقر اوتونا بيشتم بطل الطوفان السومري الذى منحته الآلهة الخلود بعد الطوفان . وهكذا يكون البطل السومري جلجماش قد شق طريقه عبر الخليج ومن أرض سومر قاصدا دلمون فى البحرين حيث قابل اوتونا بيشتم ملك أوروك، ترك مجده وثار على مظاهر المجد والعظمة والسلطان وآثر البحث عن حياة أبدية ، وفى صدره إيمان عميق راسخ رسوخ الجبال بأن سعيه الروحي لابد أن يقوده إلى الحياة الأبدية هى وراء هذا العالم المادى الشرير. وقد عرف بنتيجة تطوافه أن الحياة الأبدية التى ينشدها ليست فى هذا العالم ، بينما كانت "الجنة المفقودة" فى مفهوم بنى إسرائيل، جنة عدن أرضية مادية بحتة. سواء أكانت هذه الجنة هى أرض كنعان التى تفيض لبنا وعسلا، أم كانت جنة عدن بأنهارها الأربعة: دجلة والفرات والنيل والنهر الهندى المقدس.

كانت البحرين فى الخليج العربى تعتبر هى دلمون، فقد أظهرت الحفريات والتنقيبات فى البحرين حقيقة تاريخية أن كثرة المدافن فيها جعل منها أكبر مقبرة قديمة معروفة لحد الآن فى العالم، وهذا ما يؤكد على حقيقة اقتناع السومريين بأن أرض دلمون هى أرض الفردوس، ولهذا السبب اتخذ رجل الطوفان السومري اوتونا بيشتم وهو نوح عليه السلام نوح من دلمون ـ البحرين ـ مقرا له بعد الطوفان.

لقد كشفت التنقيبات والاكتشافات فى بلاد الرافدين على أهمية التراث الروحى والثقافى الذى خلفته لنا الأجيال الغابرة، وهذه الاكتشافات ألقت الأضواء على خلفية المعلومات الواردة فى كتاب العهد القديم.

وجعل العلماء على ثقة بأن ما ورد فى الكتابات العبرية لم يكن جديدا أو منقطعا عما سبقه، وأن جذوره موجودة فى المكان والزمان اللذين يكتنفانه، ويقول الكاتب اليهودى صامويل نوح كريمر S.N.Kramer فى كتابه التاريخ يبدأ من سومر[٦٩] "إن التراث السومرى واضح الأثر فى العهد القديم وإن هذا التراث لم ينتقل مباشرة إلى العبريين لأنه كان قد انتهى منذ أمد طويل قبل ظهور العبريين إلى الوجود. لقد انتقل التراث السومرى إلى العبريين بواسطة الكنعانيين وهم سكان فلسطين الأصليين قبل أن يستولى عليها العبريين حيث إن التراث السومرى والعهد القديم هو ذلك الذى ورد فى قصيدة تتكون من ٢٧٨ سطرا، مكتوبة على لوح طيني موجود فى متحف جامعة بنسلفانى.

ومضمون تلك الحكاية حول مدينة دلمون بلد نقى طاهر بلد الحياة الذى لا يعرف السقم والموت، حيث أصبحت دلمون بذلك جنة سماوية تزهو ببساتينها المحملة بالأثمار ومروجها الخضر. ويذكر سفر التكوين فى الأصحاحين الثانى والثالث تفاصيل عن جنة عدن وأنهارها، وأن معظم هذه المسائل جذور سومرية

---

[٦٩] وهو أحد أهم المصادر المعرفية فى حضارات الرافدين. وبين إنجازاته المهمة تبيان العديد من الأصول الثقافية السومرية والأكادية للديانة العبرية.

بابلية، وأن هذه الكلمة جاءت من الكلمة السومرية عدن بمعنى السهل الأراضى الزراعية السهلة. ولا شك فى أن التوراة تفترض ضمنيا أن جنة عدن كانت تقع فى جنوبى وادى الرافدين أى فى سومر. وقد ذكر فى النسخة السومرية لقصة الطوفان، أن الآلهة عندما منحت الخلود لرجل الطوفان مقابل إنقاذه نسل البشر من الفناء، قد أسكنه فى بلد على البحر فى الشرق فى دلمون . وأن السومريين تصوروها جنة بالفعل، وأهم من هذا وذاك فقد كانت دلمون أرض السلام والطمأنينة، وهى أرض لا يعرف سكانها المرض والشيخوخة، وبالتالى فأنها كانت أرض الخلود. إن هذه الصورة للجنة السومرية فى دلمون لها انعكاسها فى سفر أشعياء فى التوراة، الذى نقرأ فيه على غرار ما نجده فى الأسطورة السومرية عن انتشار السلم والطمأنينة فى الأرض حتى بين جنس الحيوان فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدى والعجل والشبل والمسن معا وصبى صغير يسوقها والبقر والدابة ترعيان تربض أولادهما معا والأسد كالبقر يأكل تينا...

هذه هى الصورة الأشد وضوحا لجنة عدن كما ورد فى الأصحاحات الأولى لأشعيا، فإنه يأخذ الرواية السومرية غير عابىء أن يكشف أمره أحد ليصنع منها عصرا ذهبيا يؤكد أن البشر حتى الأغيار منهم سيتمتعون فيه بملذات ونعم لا توصف، فى ظل حكم صهيون البطل المنقذ (أش ١١ : ١–٥).

ولعل من أبرز المظاهر الأساسية للجنة كما تصفها التوراة، وجود الأنهار وشجرة المعرفة وشجرة الحياة. وأن الماء يعتبر مصدرا ورمزا للحياة. وعند مقارنة هذه الحكاية السومرية بما ورد فى العهد القديم نجد.

١ – إن فكرة وجود الفردوس السماوى مقر الآلهة إنما هى فكرة سومرية، وأن دلمون نفسها أصبحت أرض الحياة والخلود لدى البابليين الذين استولوا على الحكم بعدئذ. وأنه من المحتمل أن يكون الفردوس الذى تحدثت عنه الكتابات العبرية، والذى وصف بجنة عدن التى تجرى منها أنهار الدنيا

الأربعة وبضمنها دجلة والفرات هذه الجنة هى نفسها فردوس السومريين الذى غدا بعدهم فردوس البابليين.

٢- هناك فى القصيدة أيضًا وصف لرى البلاد بواسطة إله الشمس من ماء مجلوب من الأرض، وهذا يذكرنا بما جاء فى العهد القديم الأصحاح الثانى "ثم كان ضباب يطلع من الأرض ويسقى كل وجه الأرض".

٣- وهناك جانب آخر بين الحكاية السومرية وما جاء فى التوراة، حيث إن الحكاية السومرية تصف ضلع - انكى - المريضة والتى خلقت لإعادة هذا الضلع إلى الحياة، تحمل اسما سومريا يتعلق باسم حواء أم البشر، وفى ذلك ما يشير إلى المقولة الواردة فى العهد القديم، والتى تتحدث عن خلق حواء من ضلع آدم.

وكما قلنا سابقا.. إن انعدام الإيمان بالآخرة هو موروث ثقافى سومرى. ومن هنا نجد أن السومريين كما يقول "كريمر" تشبثوا بالحياة بقوة غير معهودة، ولم يبهجوا القلب أو يواسوا الروح بأمل الحياة فى الجنة، بل إنهم عشقوا الحياة، وواكب عشقهم هذا إضفاء قيمة عليا على أسباب الرفاهية المادية (كذلك آمن البابليون والكنعانيون الذين اقتبس العبريون ثقافتهم، والذين لم يجدوا بدورهم فى عقيدة الخلود ما تبتهج له النفس. ويلاحظ "ول يورانت" فى كتابه قصة الحضارة أن الدين السومري البابلى كان دينا أرضيا عمليا. فإذا صلى البابلى لم يكن يطلب فى صلاته ثوابا فى الجنة، بل كان يطلب متسعا فى الأرض. (حيث إن الأرض هى الفردوس العبرى الموعود ومشروع الإله العبرى وشعبه بنى إسرائيل).

ولم يحفل اليهود بفكرتى القيامة والخلود، ولم تدخل هاتان الفكرتان فى تقليدهم الدينى. ويذكر جاك ليندسى[٧٠] "إن العبرايين قاربوا فكرة القيامة

---

[٧٠] انظر: التاريخ القصير للثقافة لـ / Jack Lindsay

وانبعاث الجسد للمرة الأولى فى القرن الثانى قبل الميلاد، وتمت المقاربة تحت وطأة الشعور بالهزيمة وذل الشتات من جهة، وتحت تأثير الديانة الزرادشتية التى أخذت اليهودية بمفهوم نهاية العالم والعصر الخلاصي والقيامة والحساب، وظهور عالم طاهر من جهة ثانية. وهذا المفهوم كان فى أساس آراء اليهود عن القيامة.

أما "برتراند رسل" فيذكر أن اليهودية اشتركت مع المسيحية فى تأكيد فكرة العالم الآخر فى الدنيا، وهى من الأفكار الأفلاطونية الجديدة فى الأصل. وأول من قارب الفكرتين هو الفيلسوف فيلون فى القرن الأول الميلادى.

وجاء فى موسوعة تاريخ الحضارات العام بالفرنسية: أن فكرتى القيامة والدنيوية عند العبريين لم تخرجا عن إطار النظريات التى لم تصادف تأييدا جماعيا ولا تأييدا رسميا.

أما سومبارت Sombart فيقول فى كتابه "اليهود والرأسمالية" فى كيفية تأويل اليهود لفكرة البعث والحياة الأخرى. إن اليهود فسروا القيامة من الموت على الشكل الذى يتوافق مع نزعتهم الدنيوية بحيث حصروا حق الحياة الأخرى بالأتقياء الصالحين الذين يجزون بالثروة فى الحياة الإنسانية الدنيوية. ولما كان النجاح والإثراء فى هذه الدنيا هما بالنسبة لليهودي برهانا يقينيا على إن حياة الإنسان الدنيوية هى حياة مرضية من الله، فالنتيجة المنطقية التى تترتب على هذه القناعة هى أن الآخرة ستكون من نصيب الناجين والأثرياء فى الحياة الدنيا[٧١].

---

[٧١] واللافت للانتباه أن القرآن الكريم قد انتقد اليهود فى الجزيرة العربية، ويشك فى إيمانهم باليوم الآخر وهدفهم فى الحياة ،تعلقهم بالدنيا (البقرة ٩٤- ٩٦).

(٣) "السرقة الثالثة" (قصة الطوفان)

اكتشفت بعض الألواح التى عثر عليها فى نينوى - بالعراق - فى أواخر القرن التاسع عشر، واتضح أن أحدها عائد إلى مكتبة أشور بانيبال، الذى حكم خلال القرن السابع قبل الميلاد. وأن هذا اللوح يتضمن حكاية عن الطوفان شبيهة بما ورد عن الطوفان العظيم فى سفر التكوين. وبعد ترجمة هذه الألواح تبين أن قصة الطوفان هذه تشكل جزءا من قصيدة طويلة وهى ملحمة جلجماش، حيث يحتوى اللوح الحادى عشر على القسم الأعظم من قصة الطوفان. وقد اكتشفت ألواح أخرى تشير إلى أن تلك الملحمة كانت قد كتبت فى الفترة البابلية القديمة التى تعود إلى القرن السابع عشر قبل الميلاد، كما أن تلك الملحمة وجدت مترجمة إلى اللغة الحورية واللغة الثية. ومن هنا يتضح أن تلك الملحمة كانت قد ترجمت إلى اللغات القديمة، وأنها عرفت منذ ألازمان القديمة فى جميع مناطق الشرق الأوسط. ومن المعتقدات السومرية والبابلية حادثة الطوفان روتها المآثر فى ثلاث روايات رئيسة تتشابه فى تفاصيلها. وأهم هذه القصص قصة "اتراخاسيس" الذى أنقذ البشرية من خطر الفناء أثناء الطوفان العظيم الذى شمل الأرض برمتها. وتقول القصة أجمعت الآلهة بتحريض من إله الجو والهواء انليل على أحداث الطوفان، عقابا للناس الذين تكاثروا فى الأرض بشكل يلفت النظر، إلا أن إله الحكمة - أيا - الذى عرف بحبه للناس عز عليه أن تفنى البشرية بفعل الطوفان، فأنذر رجلا تقيا وحكيما بأن يبنى له سفينة قائلا له "اهدم بيتك وابن سفينة اترك المال وانشد الحياة واحمل فى السفينة بذرة كل المخلوقات الحية" وتلقى رجل الطوفان أمر الإله بالطاعة فبدأ على الفور يحشد الطاقات لإنجاز المهمة فى سبعة أيام. وبعد أن انتهى من بناء السفينة جاء دور تحميلها بالمؤن والبشر والحيوانات، حسب تعليمات إله الحكمة - أيا - ويقول الإله - أيا - مخاطبا رجل الطوفان "ترقب الوقت المحدد الذى سوف أخبرك به ثم ادخل السفينة وأغلق بابها وزوجتك وصاحبك وقريبك

والعمال الماهرين احمل فيها شعيرك وأمتعتك وأموالك".

ثم جاء الطوفان الهائل رعد يشق عنان السماء، أعاصير مدمرة تعصف وتزمجر، فيضان عارم، وظلام حالك، ودمار فى كل مكان، حتى أن الآلهة نفسها تراجعت مذعورة إلى أقصى السماوات، واستمرت الحال على هذا المنوال سبعة أيام وسبع ليال. أتى الطوفان خلالها على كل ما فى الأرض من مخلوقات فأصبح الناس يملأون البحر وكأنهم صغار السمك على حد تعبير رجل الطوفان. ومن جهة أخرى فقد كان هلاك الناس على هذا النحو مدعاة لندم شديد وحزن عميق من الآلهة، وخاصة تلك التى عرفت بحبها للناس، مثل الإله انكى الالهه عشتار. ثم هدأ البحر، وسكنت العواصف، وانتهى الطوفان. ويقول رجل الطوفان إنه تطلع إلى البر من السفينة فوجد أن السكون يخيم فى كل مكان، وأن البشر جميعا تحولوا إلى طين. وفى تلك الأثناء استقرت السفينة على جبل اسمه نيسير، أى أنها قد بلغت مستقرها الأخير. وأنه لا أمل فى أن تتحرك من ذلك الموضع، وعندئذ أى فى اليوم السابع أخرج رجل الطوفان حمامة وهو يقول وراحت الحمامة ولكنها لم تلبث إن رجعت، لقد رجعت الحمامة لأنها لم تجد محطا لها، وأخرجت السنوسو وأطلقته ولكنه لم يلبث أن رجع لأنه لم يجد محطا له.

وعندما أخرجت الغراب وأطلقته فإنه لم يرجع.

إن قصة الطوفان فى وادى الرافدين تركت أثرا واضحا فى التوراة، حيث نقرأ فى سفر التكوين تفاصيل وافية عن الطوفان. إن التشابه بين قصة الطوفان فى المراجع المسمارية وبين التوراة واضح كل الوضوح. وقد جاء ذكر الحمامة والغراب فى التوراة أيضا. وجاء ذكر استقرار السفينة على جبال أراراط. ويضيف أحد النصوص المسمارية فيذكر أن رجل الطوفان "اتراخاسيس" اصطاد الطيور السماوية المجنحة ووضعها فى السفينة. قارن ذلك أيضًا بما ورد فى التوراة(تك ٦-١٨-٢٣).

(٤) "السرقة الرابعة" لعالم الأموات)... (١)

اعتقد سكان العراق القدماء من أهل بابل وسومر أن الموت نهاية كل إنسان، وأن الخلود غير ممكن إلا للآلهة. وما ملحمة جلجماش إلا تأكيد واضح على هذا المعتقد والتفكير الذى آمن به سكان وادى الرافدين إيمانا عميقا. وقد استسلم جلجماش فى نهاية المطاف، وبعد أن فشل فى الحصول على الخلود، بالرغم مما كان يتمتع به من صفات خارقة. والموت بالنسبة للديانة البابلية هو انفصال الروح عن الجسد، وليس فناء مطلق للإنسان، حيث إنهم اعتقدوا أنه بينما يستقر الجسد فى القبر فإن الروح تنزل إلى عالم أسفل هو عالم الأموات، أطلق عليه فى السومرية اسم "كور" - العالم السفلى - لتبقى هناك إلى أبد الدهر، حيث إنهم لم يعتقدوا بوجود قيامة. وينتقل الأموات بواسطة قارب يقوده ملاح خاص يمخر عبر نهر عباب. وعلى الرغم من إن هذا العالم هو عالم الأموات إلا أنه لا يخلو من معالم الحياة، ففى معتقداهم - سكان وادى الرافدين - مكان أبدى.

تقيم فيه أرواح الناس على اختلافهم الأخيار والأشرار الأغنياء والفقراء العبيد والأسياد، وكذلك مستقرا لأرواح الملوك وعظماء الأرض، حيث تصف لنا الألواح السومرية نزول الملك "أور" "نمو" إلى العالم السفلى بعد الموت، حيث يصل إلى البقعة التى كان قد عينها المسئولون هناك مقرا لإقامته، فيحييه الأموات تحية طيبة يشعر معها كما لو كان فى بيته.

ويجد أور- نمو أن البطل الميت جلجماش قد أصبح قاضيا فى ذلك العالم، إذ يسارع إليه فيوضح له جميع الأنظمة والتعليمات التى تحكم عالم الموتى. وجاء فى التوراة وصفا مماثلا لما ورد فى اللوح السومري أعلاه، حيث نزول ملك بابلى إلى عالم الموتى، واستقباله من قبل أخلية عظماء الأرض، الهاوية من أسفل مهتزة لك لاستقبال قدومك منهضة لك الأخلية جميع عظماء الأرض أقامت كل ملوك الأمم عن كراسيهم كلهم يجيبون ويقولون لك أنت أيضًا قد

ضعفت نظيرنا وصرت مثلنا. اهبط إلى الهاوية الذين يرونك يتطلعون إليك يتأملون فيك أهذا هو الرجل الذى زلزل الأرض وزعزع الممالك (أش ١٤).

علما بأن ما ورد فى الألواح السومرية سابق للعهد القديم بأكثر من ٣٠٠سنة. وقد اعتقد سكان العراق القدماء أيضًا بوجود صلة وثيقة بين روح الميت فى العالم السفلى وجسده فى القبر. وقد أطلق السومريون تسميات أخرى عديدة على عالم الأموات من أشهرها "أرض اللارجعة".

حيث اعتقدوا أن روح الميت تنزل إلى هناك وتبقى محتجزة إلى أبد الدهر. والعالم السفلى فى معتقدات السومريين والبابليين مكان مظلم، يقع تحت الأرض وله سبع بوابات تحرسها آلهة خاصة.

وفى التوراة جاء استعمال كلمة "شيؤل" للتعبير عن عالم الأموات. فما هى شيؤل هذه؟ الذى تصوره الديانة اليهودية على غرار الأساطير السومرية والبابلية مستقرا لأرواح الموتى.

وقد استخدمت اللفظة فى العهد القديم ٦٥ مرة، وقد أعطيت لها معنى القبر ٣١ مرة، ثم استخدمت ٣١ مرة أيضًا بمعنى مستودع الموتى، و٣ مرات بمعنى الحفرة. واستعمل المترجمون كلمة الحفرة لإضفاء صلاحية ومشروعية على ترجمتهم للفظة شيؤل، اقتباسا لمعنى الجحيم بالشكل والأسلوب المسيحى الذى أخذ أصلا من ـ بحيرة النار ـ المصرية العربية وخاصة فى سفر الأمثال تم تحوير الكلمة إلى الأخلية حيث ترجمت عبارة "يبقى فى شيؤل" إلى "يسكن بين الأخلية".

وقد ترجموا هذه الفقرة فى وقت متأخر جدا. فقد تصور العبرانيون أن عالم الأموات شيؤل يقع فى باطن الأرض تحت مياه البحر، كما جاء ذلك فى سفر أيوب (الأخيلة ترتعد من تحت المياه وسكانها. الهاوية عريانة قدامه والهلاك ليس له غطاء).

كما تصوروا هم أيضًا أن العالم الأسفل مكان مظلم وأن له بوابات على غرار معتقدات البابليين. (أليست أيامى قليلة اترك كف عنى فانبلج قليلا قبل أن أذهب ولا أعود إلى أرض ظلمة وظل الموت أرض ظلام مثل دجى ظل الموت وبلا ترتيب وإشراقها كالدجى) (سفر أيوب).

(هل انكشفت لك أبواب الموت أو عانيت أبواب ظل الموت) (سفر أيوب أيضا) أنا قلت فى عز أيامى أذهب إلى أبواب الهاوية قد أعدمت بقية سنى... كما جاء فى سفر أشعيا. ولا يخلو أى سفر من أسفار التوراة فى ذكر الهاوية على أنها العدم الذى لا حياة بعده . لقد خلت أسفار التوراة من ذكر البعث ويوم القيامة والحساب بشكل صريح تام، وكان اعتقادهم فى بداية الأمر أن يوم الحساب يقع فى الأرض السفلى، فحين جاء أخوة يوسف إلى يعقوب أبيهم بقميص يوسف ملطخا بالدماء، حزن يعقوب ومزق ثيابه وقال "إنى أنزل إلى ابنى نائما إلى الهاوية وبكى عليه أبوه" (تك ٣٧-٣٥) وجاء أيضًا فى (تك ١٦-٣٠) "ولكن إن ابتدع الرب بدعة وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وكل مالهم فهبطوا أحياء إلى الهاوية تعلمون أن هؤلاء القوم قد ازدروا بالرب. وفى الهاوية تنقطع صلة الإنسان بالرب لأنه ليس فى الموت ذكرك. فى الهاوية من يحمدك" (مزمور ٦-٥). ويوصى داود ابنه سليمان بأن يقضى على يؤاب بن صروية فيقول له (ولا تدع شيبته تنحدر بسلام إلى الهاوية) (ملوك أول ٢-٦).

وفى سفر أشعياء جاء ذكر الهاوية فى عدة مواضع وهى:

(٥- ٤)، (٣٨- ١٠)، (١٤- ٩)، (٢٨- ١٥).

وبطبيعة الحال فإننا لا نتوقع أن تتشابه معتقدات الموت عند العبرانيين مع سكان بلاد وادى الرافدين إلى حد التطابق. ولكن هذا لا يمنع من وجود تأثيرات بابلية وسومرية فى معتقدات العبرانيين الخاصة بالموت والعالم الأسفل تسربت إلى التوراة.

وقد ملأت الديانة اليهودية الفراغ الذى كانت فيه حول الموت والقبر بمادة بابلية كانت منهوبة هي الأخرى وحرفت أيضًا لإخفاء الأصل الذى نهبت منه.

الفصل السابع

تأثر اليهود بمعتقدات بابل... (٢)

ناقشنا فى الفصل السابق كيفية تأثر الديانة اليهودية بالمعتقدات التى كانت سائدة فى بلاد ما بين النهرين، ونكمل فى هذا الفصل ما بدأناه فى الفصل السابق، ورأينا أن هذا التأثير تمثل فى نقل محتوى تلك العقائد الوثنية فى التوراة وكتب الأنبياء إلى جانب كلام الله.

وسنتحدث فى هذا الفصل عن كيفية تأثير المعتقدات البابلية على كاتب متن التوراة حيث:

- معتقدات البابليين القدماء فى الموت والبعث.
- الأمثال السومرية وسفر نشيد الإنشاد.
- مجمع الآلهة.
- الصراع بين الخير والشر.
- فكرة المخلص عند البابليين القدماء.

وقبل أن ندخل إلى مضمون الفصل يجب التنويه إلى أن ما ذكرناه وما سنذكره فى هذا الفصل عبارة عن أمرين:

الأول: عرض عام لمعتقدات البابليون القدماء من الناحية التاريخية.

ثانيا: بيان تأثر الكتاب المقدس بتلك المعتقدات.

وبيان ذلك:

ففى الميثولوجيا البابلية كان الموت هو الاندثار، والقبر هو الظلام الرهيب، والحفرة العميقة التى لا صعود منها والمكان الكئيب الذى لا يعود من يذهب إليه، والمكان الذى لا يخرج منه من دخله. وقد كان البابليون والسومريون يعتقدون أن النجاة الوحيدة من اندثار الموت وظلمة الحفرة العميقة رضا الإله مردوخ الذى يستطيع أن ينقذ الإنسان الحى من نزول القبر. وأن البابليين يؤمنون أيضًا بأن محاسبة الآلهة للبشر محاسبة أرضية صريحة، وبأن نتيجتها أى الثواب والعقاب أرضية أيضا. حيث إن الثواب هو النجاة من الأمراض والأعداء والانتصار عليهم، وامتلاك الثروة والمكانة العالية الرفيعة. وقد ترددت كلمة "سلاه" ٧٣ مرة فى سفر المزامير إشارة إلى عالم الموت البابلى، وأن المعنى الحقيقى لهذه الكلمة مرادف كلمة الجب أو الحفرة العميقة أو الهاوية. فالديانة اليهودية لم تتقبل فكرة بقاء الروح والإيمان بأن هناك عالما آخر بعد الموت، يحاسب البشر فيه بعد رحيلهم عن الدنيا على ما فعلوه فى حياتهم الدنيوية ويثابون أو يعاقبون. والمزمور ١١٥ يقول "السماوات سماوات للرب أما الأرض فأعطاها لبنى آدم ليس الأموات يسبحون الرب ولا من ينحدر إلى الأرض السكوت شيؤل".

وقد التزمت الديانة اليهودية بتلك الرؤية البابلية، لعدم جدوى التطلع إلى وجود الروح أو بقائها أو الطموح إلى البعث من نصائح سفر الجامعة للأحياء، بأن يغنموا فرصة الحياة لأن التطلع إلى ما ورائها عديم الجدوى وباطل. وقد أخذت اليهودية بتلك الرؤية العدمية فى الاعتقاد. وأن البقاء بعد الموت فقط فى اسم الميت وفى عظامه ودمه. ومازال اليهود حتى هذا العصر يؤمنون إيمانا قويا بأن جوهر الإنسان فى اسمه فقط. واليهودية هى الديانة التوحيدية التى أسقطت من حسابها تماما عالم ما بعد الموت.

ولم يرد من كتبها أى معتقد عن خلود الروح أو مفهوم الانبعاث . ولا شك

فى أن فكرة اليهود عن العالم الآخر بعد الموت من حيث اعتبار الموت انتهاء للحياة، أو انطفاء للوعى، وما يأتى بعد الموت أفكار لم تتبلور إلا فى العصور المتأخرة. وقد حاول أحبار اليهود فى كتاباتهم المتأخرة والتى لا تشكل جزءا من العهد القديم تدارك ذلك الأمر بالتحدث عن الجنة والنار. أما تلك الأجزاء من العهد القديم والتى ألفت قبل غيرها من كتابهم المقدس فإننا لا نجد فيها إلا إشارات غامضة ومتفرقة وشديدة الإبهام، وفى أفضل حالاتها يمكن القول باعتقادهم ببقاء الإنسان بعد موته ، أى بوجود عالم آخر مختلف، ويمكن ربط هذا الاعتقاد بعناصر السحر فى الديانات البدائية وتفكيرها الساذج بأن كل ما يمكن إن يبقى للإنسان بعد موته لا يزيد عن عظامه ودمه واسمه. وأن تلك البقايا يمكن أن تتواجد بعد الموت فى مكان يسمى "شيؤل" وهو عالم البقاء، عالم تستمر فيه الحياة بعد الموت بشكل غير جسدى، وأيضا فإن التوراة قد اقتبست كثيرا من المعتقدات الدينية البابلية والمصرية، وعند دراستنا لسفر الأمثال سنجد أنه قد سلب من هذه الديانات القديمة حرفيا من حيث إن الذى يفارق الحياة ميتا فى العالم السفلى. ولكن كيف يظل الإنسان ميتا وهو قد مات أصلا؟ لأن الديانة البابلية والمصرية ترى أن وراء القبر حياة أخرى باقية لكن يفارق الحياة الدنيا لا يغنم تلك الحياة الأخرى الباقية إلا بعد محاكمة عسيرة فى العالم السفلى.

وإذا ما أُدين فى تلك المحاكمة بأنه لم يكن صالحا فى حياته الدنيا حُرم من الحياة الباقية أُعدم فلم يعد له بقاء وهو المفهوم الذى اقتبسه العهد القديم (بغير فهم وظل غامضا فى معتقداتهم الدينية اليهودية لأنه انتزع من سياقه ثم جاء المترجمون بإعطاءه صفة الأخلية أى ـ الظلال أو الأشباح).

ولهذا فإن كل الأفكار التى سلبت من الديانة البابلية والمصرية وأضيفت إلى الديانة اليهودية طمست بعض معالمه وحرف من سياقه وأضيف إليه أو انتقص منه عملا على التعتيم عن أصله مما جعله مستساغا لليهود فى تقبله وتفهمه ثم

أصبح مفهوم خلود الروح ومفهوم الحساب بعد الموت والثواب والعقاب ومفهوم البعث أصبح مفهوم خلود الروح"[٧٢].

(٢) "الاقتباس الثاني" (الأمثال السومرية)

لقد اقتبس العبرانيون كل شيء من السومريين وحتى الأمثال والعبر تم اقتباسها من قبلهم، وأضافوها فى كتابهم المقدس ـ التوراة ـ، لقد كتبت الأمثال السومرية قبل أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة، ولا بد أنها كانت قد ترددت على ألسنة الناس قبل تاريخ كتابتها بزمن طويل. وقد ذكر الكاتب والباحث "كريمر" فى كتابه "التاريخ يبدأ من سومر" قائلا "كانت الأمثال والحكم العبرية الواردة فى العهد القديم تعتبر أول مجموعة من نوعها فى العالم حتى تم التعرف على الحضارة المصرية القديمة واكتشفت هناك مجموعات من الأمثال والأقوال يسبق تاريخها الأمثال العبرية بعدة سنين إلا أن التعرف على حضارة وادى الرافدين برهان على وجود مجموعات من الأمثال والأقوال والحكم السومرية مكتوبة على ألواح الطين وهى تعود إلى زمن يسبق الأمثال المصرية بعدة قرون"[٧٣].

(٣) "الاقتباس الثالث" (لسان البشرية الأوحد)

عثر بين الألواح السومرية على لوح يشير إلى أول فكرة خطرت ببال الإنسان السومرى حول العصر الذهبى الذى هو كما هو معروف فى الميثولوجيا الكلاسيكية هو العصر الذى يعيش فيه الإنسان فى سعادة كاملة ونعيم وأمن، لا وجود بها للخوف والرعب حيث تضمنت تلك الملحمة قطعا جاء فيها:

---

[٧٢] أ. شبكة البصرة على الإنترنت.

[٧٣] انظر ك: التاريخ يبدأ من سومر لـ كريمر، شبكة البصرة على الإنترنت.

كان ما كان فترة من فترات الزمان امن وسلام فى أرض سومر ـ أرض الشرائع السماوية ـ كان العالم كله يعيش فى وحدة يصلى "لانليل" بلسان واحد.

وهذه العبارة التى تقول "بلسان واحد" حرفيا تثبت أن السومريين وليس العبريون هم أول من قال بأن سكان الأرض جميعا كانوا يتكلمون جميعهم بلسان واحد قبل إن تتبلبل الألسنة وتختلف اللغات، إن السومريين هم أول من تحدث عن الجنة التى عاش فيها الإنسان زمنا قبل سقوطه نتيجة لغضب الإله[٧٤].

(٤) "الاقتباس الرابع" (مجمع الآلهة)

امتازت الديانة البابلية ومعتقداتها بأشد التناقضات وعدم التماسك حيث إن هذه التعقيدات التى تواجدت فيها تعد من أغرب الظواهر التى تبرز فى أية دراسة عامة لهذه المعتقدات والأفكار الدينية التى تميزت بها الديانة البابلية والسومرية. كانت هذه الديانة تتميز بتعدد الآلهة كما امتاز مجمع الآلهة البابلى الذى ضم هذه العقيدة بأنه كان مليئا بالعبادات المتناقضة. فمجمع الآلهة فى الديانة البابلية عبارة عن تزاوج بين الآلهة مما ينتج عنه ولادة الأطفال للآلهة وعن طريق هذا الزواج نشأت العائلة الإلهية، ولقد تكونت عند البابليين فكرة "مجمع الآلهة" بعد إن تزايد عددها مع مر الزمن فظهرت أولا ثلاث شخصيات مدبرة للسماء والأرض ومقر المياه.

وأن إحدى هذه الشخصيات الكبرى الأولى وهو آلهة السماء كان له تحت إمرته كل ما هو مكتوب فى السماء والأرض. وكان الإله "انو" هو الشخصية المهيمنة على مجمع الآلهة حيث كان يقيم فى السماء ثم يأتى بعده الإله

---

[٧٤] انظر ك: التاريخ يبدأ من سومر لـ/ كريمر، شبكة البصرة على الإنترنت.

"انليل" وثم "انكى" إله العالم السفلى والذى أصبح فيما بعد إله مياه الهاوية التى لا قرار لها. وكان "انو" من أكثر الآلهة أهمية فى العصر السومري، وكان مقامه في السماء ولقد مكث هناك بالرغم من وجود آلهة آخرون يعادلونه فى القوة وظل مقامه فى السماء، ولقد مكث هناك بالرغم من وجود آلهة آخرون يعادلونه في القوة.

وظل معترفا به على أنه أعظم الآلهة شأنا حتى حلول العصر السومري الجديد. ونستطيع أن نعثر على الدلائل التى تشير إلى علو شأن "أنو" وتفوقه من الطريقة التى يستضيف بها الآلهة الآخرين.

وتعتبر سماء "أنو" المكان المفضل لاجتماع الآلهة فى الأفراح والمناسبات. وقد سلب العبرانيون وهم فى الأسر البابلي فكرة مجمع الآلهة فالمزمور ٨٢ يوضح بجلاء ووضوح هذا الاقتباس من الديانة البابلية وهذا النص يكشفهم ويعريهم مهما كان منتزعا من سياقه أو طمس وحذف بعض معالمه أو إضافة إليه بعض العبارات عملا على التعتيم عن أصله وإثباتا على ذلك فقد قام المترجمون فى ترجمتهم للمزمور ٨٢ الذى يغنى فيه لإساف قائلا "الله قائم فى مجمع الآلهة. فى وسط الآلهة يقضى" فالمترجمون أعمتهم التقوى لأنه كيف يضعون بأيديهم الورعة نصا فى الكتاب المقدس يفصح عن تعدد الآلهة؟ ولهذا جعلوا فى بعض التراجم "مجمع الله" بدلا من "مجمع الآلهة".

والسؤال هنا كيف يكون الله وهو وحده ذات واحدة مجمع؟!! لأن المجمع تعنى الكثرة من الآلهة. ثم كيف يقضى الله وسط الآلهة؟ إن المترجمين لهذه الفقرة لم يجدوا صيغة مناسبة يتقبلها العقل عند ترجمتهم لعبارة "فى وسط الله يقضى".

فتركوها فى الأصل وهذا النص يكشف مدى تلاعبهم وخبرتهم فى التحريف المتعمد[٧٥].

---

[٧٥] المرجع السابق.

(٥) "الاقتباس الخامس" (فكرة المخلص)

إن فكرة المخلص تم اقتباسها عن البابليين والفرس، فقد كان البابليون يعتقدون أنه كلما استشرى الفساد فى الأرض وكثر الشر والآثام، عاد إليهم "ماردوك" ليطهرهم من الفساد ويشبع الخير فيهم. أما الديانة الزرادشتية التى وُضعت مبادئها عن طريق زرادشت "٦٦٠- ٥٨٣ق.م" فإنها تعتقد بظهور مخلص من بيت زرادشت مرة كل ألف عام لكي يناصر "هرمازدا" إله الخير على أخيه "الهرمان" إله الشر. وهكذا فإن هذه الفكرة انتقلت أيضا إلى فكر محررى التوراة، فأصبحوا يؤمنون أن "يهوه" سوف يبعث لهم من لدنه مخلصا، ينقذهم من هوان الأسر، ويعيدهم إلى فلسطين بمعجزات تعوض عنهم قصورهم وعجزهم.. فالفكر اليهودى قائما على رؤية توراتية تحد الزمن العبرى بحدثين مهمين:

- الحدث الزمنى الأول وهو الوعد الإلهى الذى قطعه يهوه معهم بجعل الأرض الفلسطينية ملكا حصريا لذريته.

أما الحدث الثانى والأخير الذى ينتهى به الزمن فهو ظهور المخلص الذى يتحقق بظهوره الحلم العبرى بإقامة ثابتة على أرض الميعاد، وسيادة دائمة على الشعوب التى أذلت العبريين. وهذا الحلم العبرى ينهى الزمن بحكم المخلص. وهذا المخلص لا يأتى من أجل البشر كلهم بل من أجل خلاص بنى إسرائيل وحدهم، وهو يحرر اليهود من ظلم الشعوب لهم وقهرهم، وليجعل منهم السيادة على العالمين، ويحيل الأغيار عبيدا لهم وإماء. وهذا المخلص لابد أن يحمل هوية تثبت تحدره من الأسرة الداوودية.

ولابد أن يكون مقر حكمه هو القدس عاصمة العالم. وأن خاصية هذا المخلص هى إن يكون مالكا أسباب القوة.

فالمخلص الآتى من آخر الزمان لابد أن يحمل خصائص يهوه الذى يتصف

بصفات إله البركان والعاصفة، وهي سمات "انليل" رب السومريين[٧٦].

(٦) "الاقتباس السادس" (مفهوم العهد)

إن مفهوم العهد أو العقد الذى يربط بين العبريين ويهوه، هو مفهوم مألوف لدى شعوب الشرق فى الفكر والممارسة.

حيث تقول "كارين ارمسترونغ" (إن المعاهدة بين يهوه وشعبه تتبع النموذج السومري. إن الجوهر فى العقد السومرى البابلى القديم هو مطلب الولاء المطلق، وهو الولاء الذى يطلب يهوه من شعبه فى مقابل تعهد من جانبه بالرعاية والحماية) إن اعتقاد اليهود بعلاقة خصوصية مع إله خاص بهم، وأنهم من الكون فى موقع المركز وأنهم شعب الله المختار وغاية التاريخ والزمان. فإن القدس هى فى اعتقادهم سرة الأرض ومركز الكون، وهذا اعتقاد سومرى ومصرى أيضا يسبق ظهور العبريين على مسرح التاريخ. فقد آمن السومريون بأن بلادهم أرض مقدسة مختارة، وصوروا الأرض على شكل طبق مسطح يطفو على سطح القمر.

وتصوروا سومر على شكل تلة أو قبة أو صخرة تحتل موقع الوسط من الطبق وتدعى "سرة الأرض" أى مركز الأرض.

وكما إن السومريين اعتقدوا أن بلاد ما بين النهرين ترتفع عند تخوم اليابسة تليها الهوة المائية.. كذلك اعتقد العبريون أن القدس ترتفع فوق تخوم الهوة المائية.

والقدس عند العبريين والنبى حزقيال هى الصرة ـ السرة ـ أو مركز الأرض،

---

[٧٦] المرجع السابق.

وكذلك توصف القدس فى كثير من الأدبيات الإسلامية بسرة الأرض[٧٧]. حيث إن أول بقعة بنيت على الأرض كلها موضع صخرة بيت المقدس. والعبريون خلافا لكافة الشعوب ركدوا على مر الزمان على مفاهيم مر عليها الزمن، واستمروا فى ادعائهم بأن الأمة اليهودية هى مركز الزمان والمكان، وبأن استعادة وجودهم كدولة وأمة فى هذا المركز هو شرط استتباب النظام الكونى.

(٧) "الإقتباس السابع" (محاربة قوى الشر)

إن خلق الكون بموجب اعتقاد سكان بلاد ما بين النهرين لم يتحقق بهدوء وسلام، وإنما جاء بعد حرب صعبة وطاحنة خاضتها قوة تمثل الآلهة الفتية ضد قوى أخرى حاقدة تمثل الآلهة القديمة.

وحسب معتقداتهم الدينية فإن الحرب كانت معروفة قبل أن يخلق الكون والإنسان، وأنها قديمة قدم الآلهة نفسها. وتعطينا قصة الخليقة البابلية صورة واضحة عن الأسلحة التى أوجدتها الآلهة فى حربها بعضها مع البعض الآخر، ومعظمها يتكون من حيوانات أسطورية ضخمة ومرعبة، مثل الثعابين الخبيثة والتنانين العملاقة الطائرة والرياح المدمرة. ومن أبرز نقاط الصراع فى قصة الخليقة البابلية أيضا يتمثل فى أن تيامة وجندها هم عنصر الشر فى حين يمثل مردوخ عنصر الخير أو الشر بنفس الوقت. وتسمى المياه الأزلية المالحة فى البابلية تيامة بمعنى البحر، وقد صورتها قصة الخليقة البابلية بمخلوق ضخم ومرعب له قوى خارقة، حيث جندت تيامة فى حربها ضد مردوخ بمخلوقات ضخمة ومرعبة، وهى التنانين الطائرة والثعابين الضخمة، فى حين اتخذ مردوخ من الرياح والعواصف المدمرة أسلحة له.

---

[٧٧] وهذا ما تسرب إلى بعض الكتب التراثية من الإسرائيليات والخرافات وذلك لأن الكعبة هى مركز الأرض لا القدس.

وفى الميثولوجيا البابلية ينتصر مردوخ "السيد العظيم" أى الله على تنين العماء، وينظم الكون.

وكذلك فعل أشور - السيد - فى الميثولوجيا الآشورية. وفى الميثولوجيا الكنعانية مثل عماء البدء بالحية الملتوية ذات الرؤوس السبعة لوياثان الملتوية الهاربة قتلها البعل - السيد - قبل القيام بعملية التكوين وتنظيم الوجود.. وحين بدأ أحبار اليهود بوضع تاريخهم وكتابته فى التوراة فى عهد السبى البابلى، اقتبسوا من البابليين والكنعانيين من جملة ما اقتبسوا قصة التكوين والخليقة.

وكان من الطبيعى أن ينسبوا دور قتل تنين العماء إلى يهوه.

وقد جاء فى وصف محررى التوراة لتنين العماء "لوياثان" بتعابير تشبه إلى حد بعيد التعابير التى وردت فى وصف تنين العماء فى التراثين البابلى الكنعانى، ويمكن إثبات اقتباسهم لهذه التعابير، ما ورد فى (سفر أيوب: ٤١) من وصف لتنين العماء، وهى شبيهة بنصوص ملحمة التكوين والخليقة البابلية.

كل هذه الأساطير البابلية امتزجت فى أسفار التوراة، وأصبح لها صدى كبيرا فيه حيث يحارب الرب قوى الشر المتمثلة بالتنانين والثعابين.

وحيث يرد ذكر البحر بصفته مصدرا لهذه القوى الشريرة، وذكر التغلب عليه وإسكات أمواجه على يد الرب، على غرار ما حصل لتيامة على يد الإله مردوخ فى قصة الخليقة البابلية وكمثال على ذلك نقتبس فيما يلى "فى ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسى العظيم لوياثان الحية المتلوية ويقتل التنين الذى فى البحر" (أشعياء).

"ليلعنه لاعنو اليوم المستعدون لإيقاظ لتنين" (أيوب ٣: ٨) فانظايك "يلعنه اللاعنون كل يوم الماهرون فى إثارة لاوياثان" (أيوم ٣: ٨) الترجمة العربية المشتركة.

وجاء تعليق الترجمة المشتركة على هذا النص "لوياثان: حيوان أسطورى قيل

إن السحرة قادرون على إثارته ليتسبب بكسوف الشمس يتصوره الكاتب فى (٤٠: ٢٥- ٤١: ٢٦) بشكل تمساح وينسب إلى مقدرة التهام الكواكب.

(٨) "اقتباس الثامن" (الشمس والأساطير البابلية)

يقول الأستاذ على الريس[٧٨]"لم يترك مؤلف الكتاب المقدس أسطورة أو خرافة إلا وذكرها كحقيقة يعترف بها".

ولنأخذ مثالا على ذلك:

"هناك للشمس نصب خيمة وهى كالعريس الخارج من خدره. وكالجبار تبتهج فى عدوها" (مزمور ١٩: ٥- ٦).

وقال واضعو نسخة الآباء اليسوعيين:

"يستعمل صاحب المزمور فى كلامه عن الشمس التى خلقها الرب عبارات وردت أيضا فى الأساطير البابلية"..

(٩) "الاقتباس التاسع" (قصة أستير اليهودية وأشتير البابلية):

نقل كاتب سفر أستير فى العهد القديم من قصة بابلية قديمة، حيث يذكر السفر قصة أستير وابن عمها مردخاى.. وانتقامها من هامان وزير ملك فارس أحشويرس. فالقصة مشابهة لما جاء فى التراث البابلى فى ملحمة البابليين والعيلميين.

ولكل بطل من أبطال القصة التوراتية مقابل فى الأسطورة البابلية حيث:

- أستير اليهودية هى عشتر - عشتير - البابلية.

- هامان وزير أحشويرس هو إله العيلميين.

---

[٧٨] أ. ك. تحريف مخطوطات الكتاب المقدس ص ٢٣٧.

ـ مردخاى هو مردوك البابلى.

ومما يؤكد هذا الاقتباس التوراتى من التراث البابلى، أن التاريخ الفرسى لا يذكر شيئا عن أبطال القصة التوراتية وخاصة أستير والملكة فشنى[٧٩].

(١٠) "الاقتباس العاشر" (البحث الأركيولوجى فى بابل ومصر)

أما عن المزامير اليتيمة[٨٠] فتتشابه مع الأناشيد والتراتيل المصرية وغيرها. فالعالم أرمان فى بحثه القيم عن "مصدر مصرى لأمثال سليمان" والذى قدمه عام ١٩٤٤م وتابعه فيه العالم برستيد.

فإنهما يريان بأن المزمور ١٠٤ منقول بشكل شبه حرفى من نشيد إخناتون الكبير وخاصة الفقرات (٢٠ـ ٣٠).

وهذا ما أكدته دائرة المعارف الكتابية فى مادة "المزامير" حيث تقول "البحث الأركيولوجى فى بابل وفى مصر قد كشف عن أناشيد مقدسة.. كما أن الكشف عن آداب الكنعانيين فى أوغاريت.. قد أمدنا بقصائد مهمة متشابهة للمزاميز منذ عصر موسى".

كما يرى المحققون أن المزمور ٢٩ مقتبس عن قصيدة من أوغاريت للبعل مع استبدال اسم "بعل" باسم "يهوه".

وأما المزمور ١٩ فمقدمته هى الابتهالات عينها التى كانت تقدم لإله الشمس[٨١].

---

[٧٩] أ. دراسة عن التوراة والإنجيل لـ/ كامل سعفان ص١٤، ١٥٨، ١٥٩، هل العهد القديم كلمة الله لد/ السقار ص ٥٩.

[٨٠] سميت بالمزامير اليتيمة لأنها مجهولة الكاتب. وتقول طبعة الرهبنة اليسوعية/ بولس باسيم تعليقا على المزامير "من مؤلفها؟ من المستحيل أن نعرف من هو بالضبط؟".

[٨١] أ. المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم. محمد الباص ص ١٣١، ١٣٢.

وأما سفر نشيد الإنشاد فيرى ول ديورانت أنه من وضع شعراء عبرانيين تأثروا بالروح الهيلينية التى وصلت مع غزو الإسكندر، وقد يكون السفر مأخوذا من آداب مصرية بدليل أن العاشقين كان يخاطب أحدهما الآخر: أخى. أختى..؟ وهو أسلوب مصرى قديم[٨٢].

ويذكر د. مصطفى محمود فى كتابه "التوراة" بعضا من صور التشابه بين سفر الأمثال وبين أمنمحتب.

حيث يقول أمنمحتب "الكاتب الماهر فى وظيفته سيجد نفسه أهلا للعمل فى رجال البلاط".

ويقول سفر الأمثال ناقلا عنه "أرأيت رجلا مجتهدا فى عمله إنه يقف أمام الملوك" (الأمثال ٢٢/ ٢٩).

ويقول أمنمحتب أيضا "لا تصاحب رجلا حاد الطبع ولا ترغب فى محدثته" وفى سفر الأمثال "لا تستصحب غضوبا ومع رجل ساخط لا تجئ" (الأمثال ٢٢/ ٢٤).

(١١) "الاقتباس الحادى عشر" (التوراة وقوانين حمورابى)

وتتشابه كثيرا الشرائع التوراتية مع قوانين حمورابى الذى سبق ظهور اليهود بعدة قرون[٨٣] وصور التشابه بينهما كثيرا حيث.

أ ـ من صور التشابه ما جاء فى (سفر الخروج ٢١/ ٢٨ـ ٣٢).

"إذا نطح ثور رجلا أو امرأة فمات يرجم الثور و يؤكل لحمه. وأما صاحب الثور فيكون بريئا. ولكن إن كان الثور نطّاحا من قبل وقد أشهد على صاحبه

---

[٨٢] أ. دراسة عن التوراة والإنجيل. كامل سعفان ص١٥ــ ١٥٥ ، هل العهد القديم كلام الله، د. السقار. ص٦٠.

[٨٣] هل العهد القديم كلام الله ص٦٣.

ولم يضبطه فقتل رج أو امرأة. فلثور يرجم وصاحبه يقتل أيضا".

ب ـ ويقابل ذلك ما جاء فى قوانين حمورابى (مادة ٢٥٠ـ ٢٥٢).

"إذا نطح ثور أثناء سيره فى الشارع رجلا فقتله، فلا وجه لتقديم مطالبات من أى نوع، أما إذا كان الثور ناطحا من قبل وتبينت لصاحبه هذه الحقيقة ومع ذلك لم يكسر قرونه أو يربطه فإذا نطح هذا الثور رجلا حرا فقتله فعلى صاحب الثور أن

يدفع ثلاثين شاقلا من الفضة، أما إذا نطح عبدا فيعطى سيده عشرين شاقا من الفضة".

ويقابل ذلك فى التوراة "إن نطح الثور عبدا أو أمة يعطى سيده ثلاثين شاقل فضة" (خر ٢١/ ٢٨ـ ٣٢).

جـ ـ وأيضا يتشابه متن التوراة مع قوانين أخرى لحمورابى فمثلا[٨٤]

قوانين حمورابى	ما ذكر فى التوراة
ـ المادة ١٢٤	ـ خروج ٢٢/ ٧
ـ المواد ٢٤٤ـ ٢٤٦ـ ٢٦٦	ـ خروج ٢٢/ ١٠ـ ١٢
ـ المادة ٢٠٦	ـ خروج ٢١/ ١٨ـ ١٩
ـ المادة ٢٠٩	ـ خروج ٢١/ ٢٢

وأخيرا:

أختتم هذا الفصل بقول دائرة المعارف الكتابية:

"وهكذا نجد العديد من المشابهات فى المواضيع والأحكام، بين شريعة موسى وقوانين حمورابى.... ولا نستطيع الجزم بأن التوافقات التى عرضناها قد جاءت

---

[٨٤] المرجع السابق ص ٦٣.

نتيجة مصادفة عشوائية.. وعندما اتصل الإسرائيليون بالحضارة البابلية بعد دخولهم إلى أرض كنعان، كان من الطبيعى أن يستخدموا ما أفرزته تلك الحضارة مما وجدوه فيها نافعا لهم".

وأيضا قول المدخل الفرنسى للتوراة "لم يتردد مؤلفو الكتاب المقدس وهم يرون بداية العالم أن يستقوا معلوماتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من تقاليد الشرق الأدنى القديم، ولاسيما من تقاليد بلاد ما بين النهرين ومصر والمنطقة الفينيقية الكنعانية".

الفصل الثامن

نبوخذنصر وأحداث السبى البابلى بين التوراة والتاريخ...

ناقشنا فى الفصول السابقة السيرة الذاتية عن حياة ومملكة نبوخذنصر .

حيث ذكرنا ما قاله التاريخ عن طريق التنقيبات والاستكشافات الأثرية الحديثة فى بلاد ما بين النهرين عن مملكة بابل الثانية ومؤسسها نبوخذنصر الثانى، وعن أحداث السبى البابلى هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى ذكرنا ما قالته التوراة عن هذا القائد نبوخذنصر وأحداث السبى البابلى على وجه الإجمال.

وفى هذا الفصل سنذكر ما قالته التوراة عن هذا القائد الكلدانى وأحداث السبى البابلى.

ولكن تكمن المشكلة فى أن التوراة تفقد مصداقيتها كمقياس للحكم على الأحداث الماضية، فلا نستطيع أن نوقن بما تذكره متنها.

فسنذكر ما جاء بالتوراة ونعرضه على التاريخ العام، ونتائج الاكتشافات الأثرية الحديثة.

وبيان ذلك:

(١) "هل قتل يهوياقيم أم أسر إلى بابل":

جاء فى سفر أخبار الأيام الثانى التوراتى: "كان يهوياقيم ابن خمس وعشرين سنة حين ملك، وملك إحدى عشرة سنة فى أورشليم وعمل الشر فى عينى الرب إلهه، عليه صعد نبوخذنصر ملك بابل وقيده بسلاسل نحاس

ليذهب به إلى بابل" ("٢" أخبار الأيام ٣٦: ٥-٦).

فهل حقا أُخذ يهوياقيم الملك أسيرا إلى بابل كما تقول التوراة؟ أم قُتِل بأمر نبوخذنصر فى أورشليم؟

الحقيقة أنه - يهوياقيم - قتل فى أورشليم، وأمر - نبوخذنصر - أن تلقى جثته خارج السور ومنع عن الدفن.

قال يوسيفس المؤرخ اليهودى فى بداية القرن الأول الميلادى:

"جاء سلطان بابل مع العسكر القوى وتسلط على البلدة بدون المحاربة فدخلها وقتل يهوياقيم وألقى جثته خارج السور - سور البلد - وأجلس يواخين ابنه على سرير السلطنة وأسر ثلاثة آلاف رجل وكان حزقيال الرسول فى هؤلاء الأسرى"[٨٥].

(٣) "كم كانت مدة السبى؟"

جاء فى سفر أرمياء التوراتى "الكلام الذى صار إلى أرمياء عن كل شعب يهوذا فى السنة الرابعة ليهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا هى السنة الأولى لنبوخذنصر ملك بابل، الذى تكلم به أرمياء النبى على كل شعب يهوذا وعلى كل سكان أورشليم قائلا من السنة الثالثة عشرة ليوشيا بن آمون....

لذلك هكذا قال رب الجنود من أجل أنكم لم تسمعوا لكلامى. هأنذا أرسل فآخذ كل عشائر الشمال. يقول الرب إلى نبوخذنصر عبدى ملك بابل وآتى بهم على هذه الأرض وعلى كل سكانها. وعلى كل هذه الشعوب حواليها فأحرمهم وأجعلهم دهشا وصفيرا وخرابا أبدية. وأبيد منهم صوت الطرب وصوت الفرح. صوت العريس..

---

[٨٥] تاريخ يوسيفس.

وتصير كل هذه الأرض خرابا ودهشا وتخدم هذه الشعوب ملك بابل سبعين سنة. ويكون عند تمام السبعين سنة أنى أعاقب ملك بابل وتلك الأمة يقول الرب" (أرمياء ٢٥: ١- ١٢).

تذكر التوراة أنه بسبب عصيان بنى إسرائيل وزيغانهم عن الحق أنه ـ الله ـ أنزل عليهم عقاب تمثل فى السبى إلى بابل لمدة سبعين سنة. ثم بعد تمام السبعين سنة يعاقب الله نبوخذنصر.

فهل هذا صحيح؟!!

١ ـ تذكر المراجع لتاريخية الكتابية أن إجلاء بنى إسرائيل إلى بابل كان قبل المسيح عليه السلام بحوالى ٥٩٥/ ٦٠٠ سنة ق.م[٨٦].

٢ ـ أطلق كورش الملك الفارسى الذى هزم المملكة البابلية سراح اليهود وسمح لهم بالعودة إلى أرضهم المقدسة وذلك سنة ٥٣٦ق.م[٨٧].

٣ ـ فإذا قمنا بطرح الزمن الذى رجعوا فيه إلى أورشليم ٥٣٦سنة من الزمن الذى أُسروا فيه لإلى بابل ٦٠٠ سنة.

اتضح لنا أن مدة السبى البابلى كنت ٦٤ سنة لا سبعين كما ذكر النص التوراتى.

ولكن ذهب البعض من رجال اللاهوت إلى القول بأن السبى البابلى كان سنة ٦٠٥ق.م والرجوع من السبى كان ٥٣٧ق.م.

حتى تكون المدة ٧٠ سنة كما قال أرمياء. وإذا افترضنا صحة المدة الخاصة ببداية السبى ٦٠٥ق.م. فإن التاريخ الصحيح لسقوط مملكة بابل على يد كورش الفارسى كان ٥٣٩ق.م[٨٨] وهذا يعنى أن مدة السبى ٦٦ سنة لا٧٠ سنة.

---

[٨٦] ميزان الحق ص٦٠.

[٨٧] مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس.

[٨٨] أ. على الإنترنت منتديات كواسر، الحضارة البابلية.

(٣) "هل ملك نبوخذنصر على صور"

جاء في سفر حزقيال وعيد من الله لمدينة صور لأنها سخرت من أورشليم، وتمثل هذا الوعيد في هزيمتهم وعبوديتهم لنبوخذنصر.

"وكان فى السنة الحادية عشر فى أول الشهر أن كلام الرب كان إلىّ قائلا: يا ابن آدم من أجل أن صور قالت على أورشليم هه. قد انكسرت مصاريع الشعوب. قد تحولت إلى. أمتلئ إذا خربت. لذلك هكذا قال السيد الرب" هأنذا عليك يا صور فأصعد عليك أمما كثيرة. كما يُعلى البحر أمواجه فيخربون أسوار صور ويهدمون أبراجها وأسحى ترابها عنها وأصيرها ضح الصخر فتصير مبسطا للشباك فى وسط البحر لأنى أنا تكلمت يقول السيد الرب وتكون غنيمة للأمم. وبناته اللواتى فى الحقل تقتل بالسيف فيعلمون أنى أنا الرب.

لأنه هكذا قال السيد الرب: هأنذا أجلب على صور نبوخذنصر ملك بابل من الشمال ملك الملوك بخيل وبمركبات وبفرسان وجماعة وشعب كثير فيقتل بناتك فى الحقل بالسيف ويبنى عليك معاقل ويبنى عليك برجا ويقيم عليك مترسة. ويرفع عليك ترسا. ويجعل مجانق على أسوارك ويهدم أبراجك بأدوات حربه" (حز ٢٦ : ١ ـ ٨).

وهذا يتناقض مع التاريخ.

وذلك لأن نبوخذنصر حاصر صور ثلاث عشرة سنة واجتهد اجتهادا بليغا فى فتحها ولكنه ما قدر ورجع خائبا[٨٩].

وأقر بهذه الحقيقة أيضا كاتب سفر حزقيال نفسه، ففى أصحاح ٢٩ : ١٧ "وكان فى السنة السابعة والعشرين فى الشهر الأول فى أول الشهر أن كلام الرب كان إلى قائلا: يا ابن آدم. إن نبوخذنصر ملك بابل استخدم جيشه خدمة شديدة على صور. كل رأس قرع وكل كتف تجردت ولم تكن له ولا لجيشه

[٨٩] أ. إظهار الحق الباب الأول. الفصل الثالث (الغلط التاسع والعشرون).

أجرة من صور لأجل خدمته التى خدم بها ـ عليها ـ لذلك قال السيد الرب.

هأنذا أبذل أرض مصر لنبوخذنصر ملك بابل فيأخذ ثروتها ويغنم غنيمتها وينهب نهبها فتكون أجرة لجيشه".

(٤) "أخطاء كتابية فى أحداث السبى البابلى":

سنناقش الآن عدة أحداث خلال السبى البابلى ذكرت فى الكتاب المقدس الذى يعتبره المؤمنون به مصدرا تاريخيا موثوق به.

سنذكر لهم عدة تناقضات فى هذا المصدر عن بعض الأحداث الزمنية والخبرية.. ربما يصدقوا أن مصدرهم التاريخى مصدر غير أهل فى تقرير الأحداث التاريخية.

أولا: جاء فى إنجيل متى:

"فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا ومن داود إلى السبى البابلى أربعة عشر جيلا ومن سبى بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا".

وقال صاحب كتاب "إظهار الحق"

"وهذا غلط صريح لأن القسم الأول ـ من إبراهيم إلى داود ـ يتم على داود، وإذا كان داود عليه السلام داخلا فى هذا القسم يكون خارجا من القسم الثانى لا محالة. ويبتدئ القسم الثانى لا محالة من سليمان ويتم على يوخانيا وإذا دخل يوخانيا كان خارجا من القسم الثالث".

ويبتدئ القسم الثالث من شلتائيل لا محالة ويتم على المسيح فى هذا القسم لا يوجد إلا ثلاثة من شلتائيل لا محالة ويتم على المسيح.

وفى هذ القسم لا يوجد إلا ثلاثة عشر جيلا. وكان من العلماء الذين اعترضوا على هذا القول "بورفرى" فى القرن الثالث الميلادى من علماء المسيحية.

ثانيا: جاء فى إنجيل متى أيضا:

"ويوشيا ولد يكينا وإخوته عند السبى البابلى" متى ١: ١١. وهذا خطأ لأن:

١ ـ يوشيا مات قبل السبى البابلى بـ ١٢ سنة لأنه جلس بعد موت ياهوحازا ابنه على سرير السلطنة ثلاثة أشهر ثم جلس يواقيم ثلاثة أشهر فأسره نبوخذنصر وأجلاه مع بنى إسرائيل الآخرين إلى بابل.

٢ ـ يوكينيا ابن ابن يوشيا لا ابنه.

٣ ـ يكينا ما كان له إخوة حيث يذكر سفر أخبار الأيام أن يكينا لم يكن له إلا أخ واحد فقط هو "صدقيا".

"وبنو يوشيا البكر يوحانان الثانى يهوياقيم الثالث صدقيا الرابع. شلوم وابنا يهوياقيم. يكينا ابنه وصدقيا ابنه" (١ أخبار ٣: ١٥ـ ١٦).

(٥) "نبوخذنصر هل كان ملك آشور؟"

جاء فى سفر يهوديت التوراتى:

"فى السنة الثانية عشرة من ملك نبوخذنصر الذى حكم الآشوريين فى مدينة نينوى العظيمة. كان أرفكشار يحكم على الماديين فى مدينة أحمتا" (يهوديت ١: ١).

والسؤال هنا: هل كما تقول التوراة إن الملك نبوخذنصر حكم على الآشوريين؟ أم لا!!

الحقيقة التاريخية الثابتة أنه لم يحكم قط على الأشوريين ولم يُلقب أبدا بملك آشور. فهو كان ملك بابل.

أما نينوى المذكورة فى النص فقد دمرها أبوه نبوبولاصر سنة ٦١٢ق.م[٩٠]،

---

[٩٠] ترجمة الآباء اليسوعيين ص ٨٣٤.

وعلق رجال اللاهوت المسيحى فى الترجمة العربية المشتركة قائلين "هو - نبوخذنصر - فى الواقع ملك بابل (راجع ٢ مل ٢٤ : ١)، (دا١ : ١) الذى بنى حكمه على حطام الآشوريين".

(٦) "بناء الهيكل أم أسوار المدينة؟؟"[٩١]

يحمل سفرى عزرا ونحميا أخطاء تاريخية كبيرة وبالغة الخطورة. وعندما كتب واضعو الترجمة اليسوعية مقدمة لهذين السفرين وضعوا عنوانا خاصا اسمه "مشاكل تاريخية".

وحتى نتعرف على مدى صعوبة هذه المشاكل التاريخية يكفى أن نقرأ ما كتبوه حيث قالوا:

"مشاكل تاريخية: يثير تحليل سفرى عزرا ونحميا مشاكل أخرى تتعلق بالأحداث التاريخية نفسها لحدثين منا شأن كبير. وقد وضع لتفسيرهما افتراضات متنوعة لا يعد أى منها حلا أكيدا"

نتناول المشكلة الأولى: توقف إعادة بناء هيكل أورشليم[٩٢] (عزرا٤) ورد فى النص أن هذا التوقف أمر به "ارتحشتا" ملك الفرس (٤٦٦- ٤٢٤ق.م).

على أثر الشكاوى الواردة من سكان البلد المعارضين لليهود (عزرا٤ : ٦) والحال أن التسلسل الزمنى يجعل مثل هذا الحدث أمرا مستحيلا، فقد تم بناء الهيكل من السنة السادسة من ملك داريوس، أى حوالى السنة ٥١٥ق.م (عزرا ٦ : ١٥).

بعد أن استؤنف العمل فى السنة الثانية من الملك نفسه، أى فى السنة ٥٢٥ق.م (عزرا ٤ : ٢٤، حجى ١ : ٥) والفقرة ٤ : ٦- ٢٣. من سفر عزرا تتناول

---

[٩١] أ. تحريف مخطوطات الكتاب المقدس للأستاذ على الريس ص٢٢١.

[٩٢] بعدما سمح كورش الفارسى لليهود أن يرجعوا إلى وطنهم من سبى بابل.

أحداثا جرت فى أيام أرتحشتا. أى بعد ذلك بخمسين أو ستين سنة على أقل تقدير.

يبقى أن أرجح الافتراضات لحل هذه المشكلة هو أن نرى فى هذه الفقرة الأخيرة وثائق تتعلق بتوقف أعمال غير أعمال بناء الهيكل. وقد يكون المقصود بذلك محاولة لإعادة بناء أسوار المدينة على عهد ارتحشتا الأمر الذى يفسر تفسيرا مرضيا ما قام به نحميا فيما بعد من مساع لاستئناف هذه الأعمال وإنجازها.

على عهد ارتحشتا فى كل حال (نحميا ١ : ٤ـ ٦).

وأن ما تتضمنه رسائل عزرا الدبلوماسية (٤ : ٦ـ ٢٣) يذكر بصراحة إعادة بناء المدينة والأسوار لا الهيكل (الآيات ١٢ـ ١٣) فكيف وضعت هذه الوثيقة وسط الرواية المتعلقة بالهيكل فى وقت أقدم بكثير؟ إنه أمر نجهله لما كان الكلام يدور على أعمال بناء توقفت بأمر من ملك الفرس، فلربما وقع التباس فى وقت تحرير الكتاب بين أعمال بناء الهيكل على عهد داريوس وأعمال بناء الأسوار على عهد ارتحشتا.

(٧) "هل كان مردكاى ممن سُبوا إلى بابل؟!"

جاء فى سفر أستير التوراتى :

"وكان فى السنة الثانية من ملك أحشورش العظيم فى اليوم الأول من نيسان أن مردكاى بن شمعى بن قيش من سبط بنيامين رأى حلما.

وكان يهوديا مقيما فى مدينة شوشن.

وكان رجلا عظيما يعمل فى بلاط الملك.

وكان من جملة أهل الجلاء الذين جلاهم نبوخذنصر ملك بابل من أورشليم مع يكنيا ملك يهوذا".

نرى فى هذا النص تخبطا تاريخيا واضحا حيث يذكر النص أن "مردكاى" كان ممن سُبوا إلى بابل.

وأنه من حاشية الملك أحشورش فى نفس الوقت الذى كان سنة ٤٨٠ق.م ويكون فى نفس الوقت من الذين تم إجلاؤهم إلى بابل من أورشليم مع يكنيا، أى فى عصر يواقيم أى حوالى سنة ٥٩٨ق.م.

وتقول ترجمة الآباء اليسوعيين "الكاتب يقول فيه أمرين لا يتفقان وهما أنه من حاشية أحشورش (حوالى سنة ٤٨٠ق.م).

وأنه مجلو عاصر يواقيم (حوالى سنة ٥٩٨ق.م)".

(٨) "دمار أورشليم سنة ٦٠٧ق.م":

جاء فى منتديات كواسر دراسة عن التاريخ الذى ذكره الكتاب المقدس عن تدمير أورشليم ٦٠٧ق.م ومجمل الدراسة ما يلى:

لا يحتوى الكتاب المقدس على أية تواريخ مطلقة تتماشى مع نظام تقويمنا الحالى. لكنه يوفر تواريخ نسبية، فمثلا جاء فى دانيال ١:١

"فى السنة الثالثة من ملك يهوياقيم ملك يهوذا ذهب نبوخذنصر ملك بابل إلى أورشليم وحاصرها".

هكذا أرخت الأحداث فى أوقات الكتاب المقدس إذا تمكنا من تأريخ عهود الملوك. فى هذه الحالة الملك يهوياقيم ونبوخذنصر عندئذ يمكننا أن نؤرخ الأحداث.

إذ يتطلب أى تأريخ إلى دليل مستقل عن الكتاب المقدس - فقط التواريخ النسبية يمكن أن تؤخذ من الكتاب المقدس - سننظر إلى كيف نستطيع التوصل إلى تواريخ مطلقة حقا.

ولاحظنا أن (دانيال ١ : ١) قال بأن نبوخذ نصر أخذ سجناء من أورشليم فى السنة الثالثة ليهوياقيم لكن حسب التقديرات التأريخية فإن هذا التاريخ غير صحيح.

حيث جاء فى موسوعة "بصيرة فى الكتاب المقدس" عدد ١ ص١٢٦٩ "حسب الأدلة أن هذه السنة الثالثة ليهوياقيم كانت كملك تحت وصاية ملك بابل" (دانيال ١ : ١).

ولا يمكن أن تكون سنة يهوياقيم الثالثة من عهده الذى دام ١١ سنة على يهوذا ذلك الوقت يهوياقيم كان تابعا ليس لبابل ولكن على فرعون مصر، مع العلم أن دانيال مثل العديد من كتبة الكتاب المقدس الآخرين استعملوا تأريخ عهود الملوك من أول سنة لحكمهم إلى آخر سنة.

انظر (دانيال ١ : ٧، ١ : ٨، ١ : ٩، ١ : ١٠، ١ : ١١).

ففى دانيال ١ : ٢ فسر دانيال حلم الملك نبوخذنصر فى السنة الثانية من ملكه ونجد الجمعية ـ جمعية الكتاب المقدس ـ تناقض النص هذا على أن ما أشار دانيال له كان السنة الثانية بعد أن دمر نبوخذنصر أورشليم، بينما النص يقول فى السنة الثانية من ملك نبوخذنصر دون أى تحوير.

هذا الرفض لوضع تواريخ الكتاب المقدس قبل العقيدة يصبح محرجا خصوصا فى ملحق كتاب "ليات ملكوتك".

حيث حاولوا دحض النقد ضد تأريخ أحدث الجمعية على صفحة ١٨٨ حاولوا دحض قيمة السجلات البابلية من قبل "بيروسوس" مع أن بيروسوس ادعى بأن نبوخذنصر أخذ أسرى يهود فى سنة توليه العرش، لكن ليس هناك وثائق مسمارية التى تدعم هذا.

بينما تدعى الجمعية بأنها المدافع عن الكتاب المقدس إلا أنهم يخفقون فى الاعتراف بأن الكتاب المقدس نفسه فى دانيال يدعم "بيروسوس" ضد تأريخهم؟

كيف؟ فى دانيال ١ : ٢.

وقف دانيال أمام نبوخذنصر ليفسر له لحلم فى السنة الثانية من ملكه، لكن حسب (دانيال ٥: ١) كان على دانيال أن يمضى فترة تدريب لثلاث سنوات قبل أن يقابل الملك.

مما يعنى أن دانيال أخذ أسيرا فى سنة تولى نبوخذنصر عرشه حيث تصبح سنة ملكه الثانية بمثابة السنة الثالثة لفترة تدريب دانيال.

انظر المقارنة التوضيحية التالية:

سنة تولى نبوخذنصر عرشه	أسر دانيال وأول سنة تدريب
السنة الأولى لحكم نبوخذنصر	ثانى سنة تدريب
السنة الثانية لحكم نبوخذنصر	ثالث سنة وآخر سنة تدريب ووقوفه أمام الملك (د١١: ٢)

المراجع

١ ـ الكتاب المقدس.

٢ ـ قاموس الكتاب المقدس / جورج بوست.

٣ ـ العراق الجغرافية والتاريخ.

٤ ـ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية / عبد الوهاب المسيرى.

٥ ـ w.w.w.alphraeen.Com

٦ ـ تاريخ النظم القانونية والاجتماعية د/ صوفى أبو طالب.

٧ ـ تاريخ العراق القديم د/ عبد العزيز صالح.

٨ ـ تاريخ الشرائع السامية.

٩ ـ ملفات منتديات كواسر/ الحضارة البابلية.

١٠ ـ تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية د/ محمد نور.

١١ ـ فلسفة القانون وتاريخه د/ فتحى المرصفاوى.

١٢ ـ بنو إسماعيل وأنبياء العرب السامية / أحمد ربيع.

١٣ ـ نبوخذنصر / تابوى/ ت: فيليب عطا الله.

١٤ ـ الوثنية فى العقائد النصرانية.

١٥ ـ التثليث فى الوثنية والمسيحية د/ حماية.

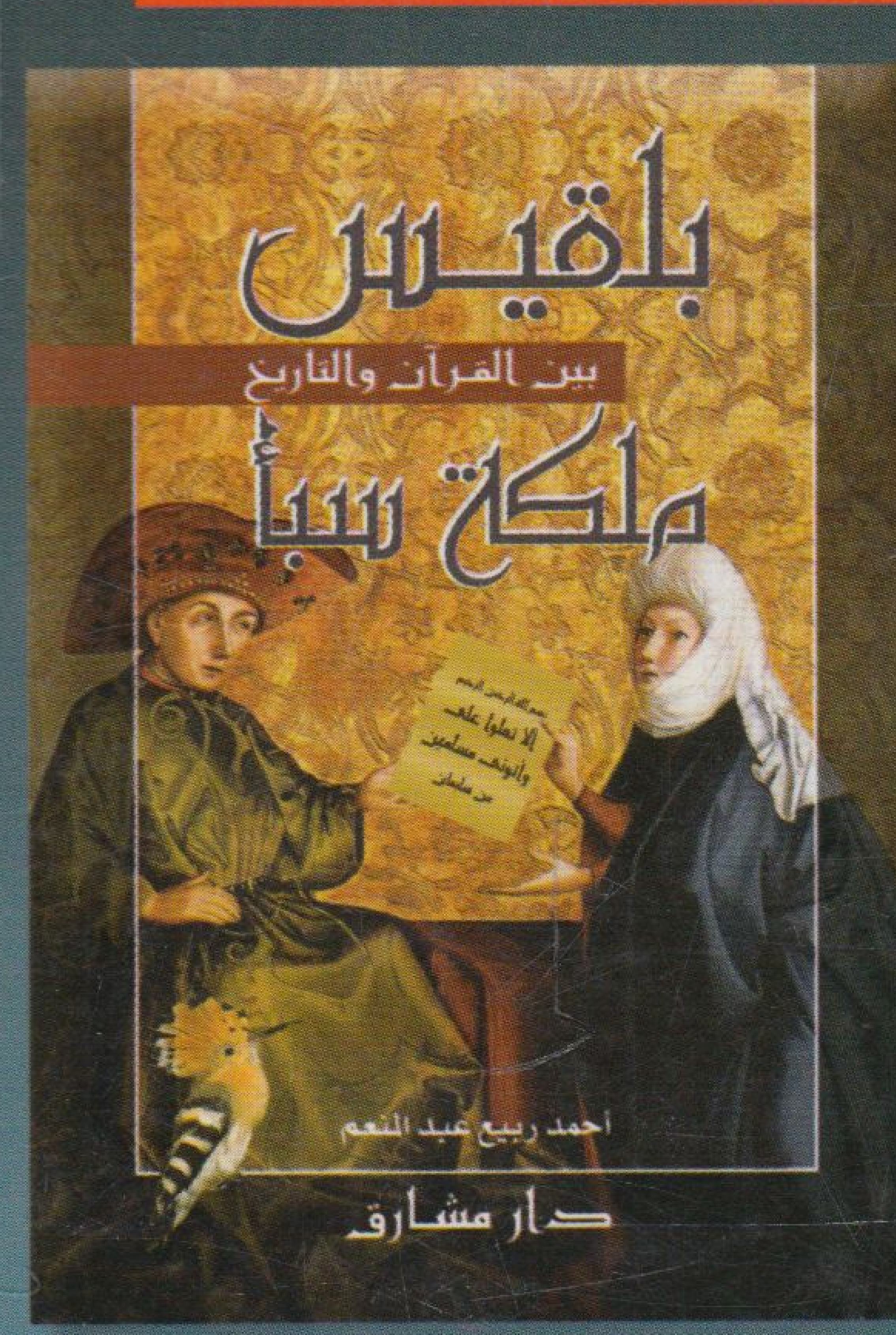
١٦ ـ http//ar.wikipedia.org.

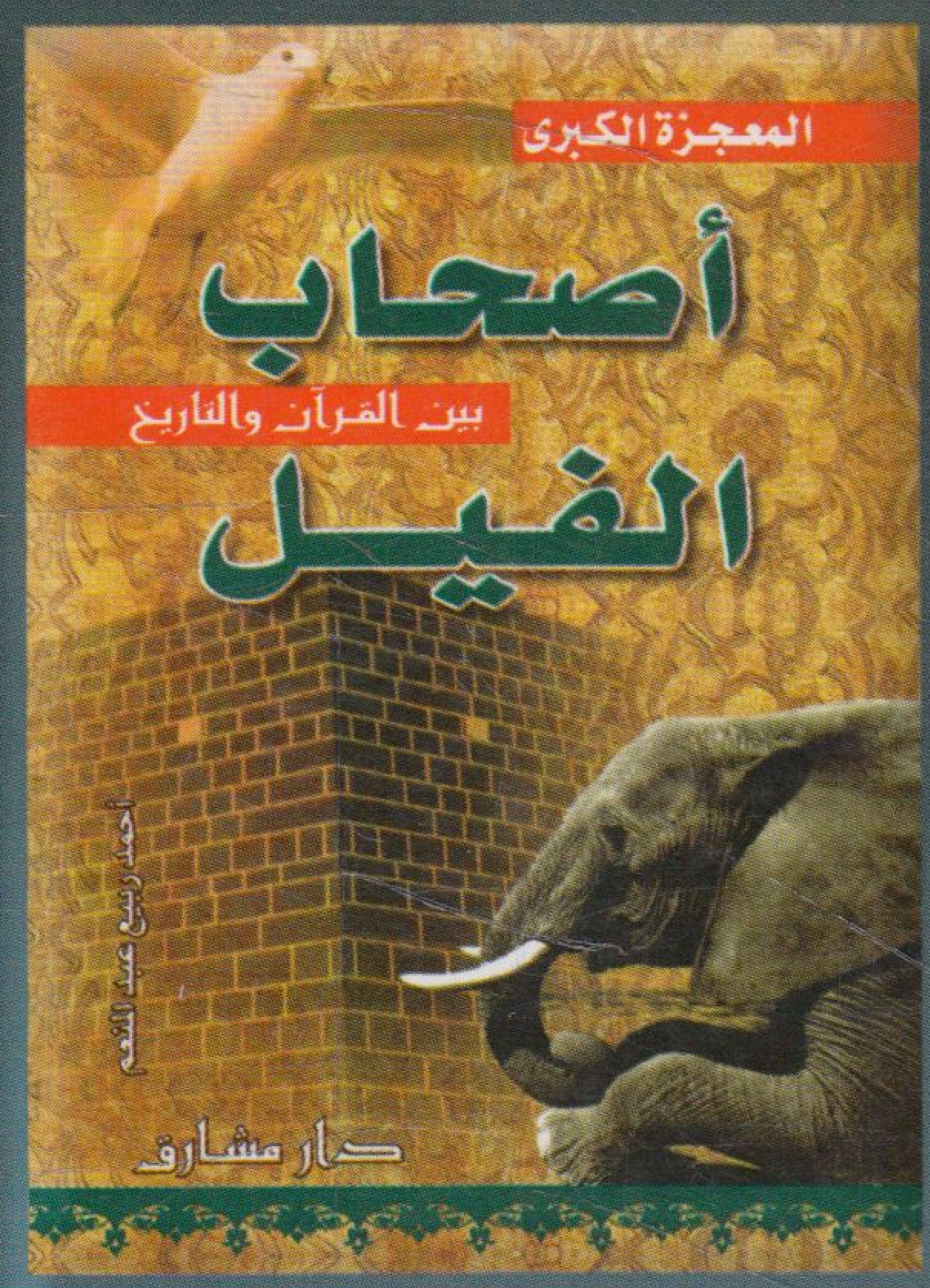
١٧- http//arabicwitness.fre-eservers.com.
١٨ ـ إعجاز الوحى والنبوة فى سفر دانيال للقس/ عبد المسيح بسيط.
١٩ ـ المجيء الثانى للقس/ عبد المسيح.
٢٠ ـ هل العهد القديم كلمة الله د/ منقذ السقار.
٢١ ـ المدخل للكتاب المقدس للكاثوليك.
٢٢ ـ w.a.criss.wellvol.2p.62.
٢٣ ـ Anti 90x10.4.
٢٤ ـ Dan. 178.
٢٥ ـ chr.wordsworth.
٢٦ ـ تأملات فى سفر دانيال لـ/ رشاد فكرى.
٢٧ ـ شبكة البصرة على الإنترنت.
٢٨ ـ التاريخ القصير/ Jacklindsy.
٢٩ ـ التاريخ يبدأ من سومر/ كريمر.
٣٠ ـ تحريف مخطوطات الكتاب المقدس لـ/ على الريس.
٣١ ـ دراسة عن التوراة والإنجيل/ كامل سعفان.
٣٢ ـ تاريخ يوسيفس.
٣٣ ـ مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس.
٣٤ ـ ميزان الحق.
٣٥ ـ إظهار الحق.
٣٦ ـ موسوعة "بصيرة فى الكتب المقدس".
٣٧ ـ ليأت ملكوتك.

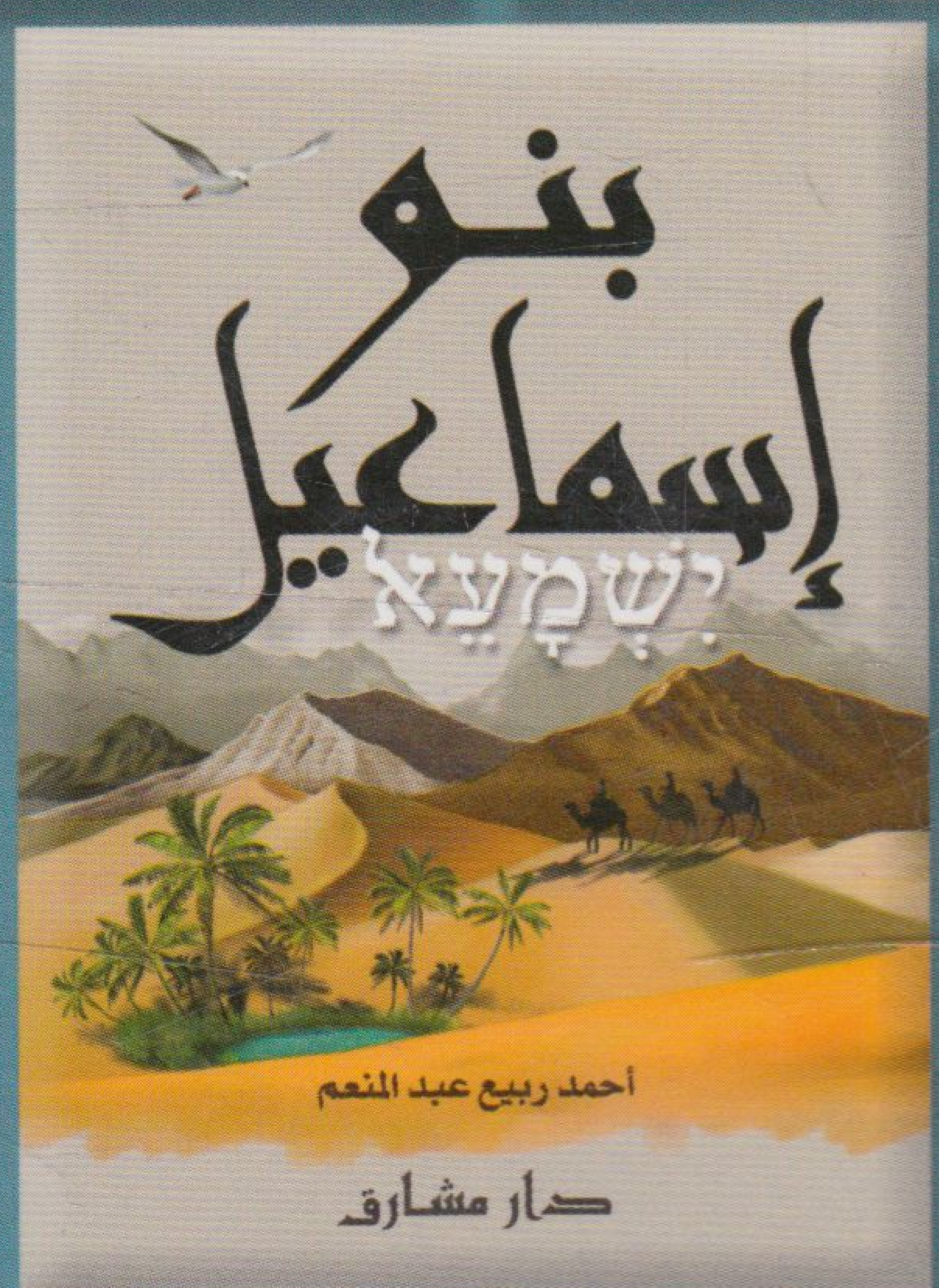
٣٨ ـ عودة الفردوس إلى الجنس البشرى ـ بواسطة الثيوقراطية.
٣٩ ـ البقاء اليهودى لـ/ ترودفايس روزمارين.
٤٠ ـ بابل والتوراة. محاضرة لـ/ فريدريك ديلبج
٤١ ـ الحضارات الأولى لـ/ غوستاف لوبون.
٤٢ ـ قصة الحضارات لـ/ ول ديورانت.
٤٣ ـ اليهود والرأسمالية / سومبارت.

المحتويات

من إصدارات دار مشارق







دار مشارق